يقظة
مجلة شهرية تصدر عن رؤية للتغيير
15 حزيران 2012
11

ثلة العدد

متابعو الطائفية: الاستبداد أمر الطوائف بحق

يوسف عبدلكي

محتويات

قبل أن نبدأ	– كلمات حول الملف – كافتتاحية	رؤية للتغيير	03
ايقاع الصحافة	– ماذا بعد رحيل النظام السوري	سمير عيطة	04
	– المعارضة السورية – لوحة بائسة	طريف الخياط	06
وجهة نظر	– النكوص النظري في النقد الشمولي	أحمد صلال	08
	– الفساد !! حتى في الخبز	براء الموسى	10
	– الثورة السورية والحل اليمني	زهير سالم	12
	– كي لا يحكمنا الأسد باسم الديمقراطية الدولية	سامي شكري	14
ملف العدد	– منابع الطائفية .. الاستبداد أم الطوائف ؟	مدخل	18
	– من يفجر الحرب الطائفية في سوريا ؟	أمجد ناصر	19
	– غواية الطائفية في سوريا والبلاد العربية	د. برهان غليون	22
	– صناعة الشعب في مواجهة صناعة الطوائف	بكر صدقي	26
	– مأزق لحاق الأقليات بالثورة السورية	راتب شعبو	28
	– المخاوف من الحرب الأهلية	عزيز تبسي	30
	– الطائفية كلعبة	فارس البحرة	32
	– بخصوص الدم السني الواحد	ماهر الجنيدي	34
	– سوريا والظاهرة الطائفية	نبراس شحيّد	36
ايقاع فكري	– في الدولة الفيدرالية	حسين عمر	39
ايقاع حر	– لغة الأشياء – ما أسخف همومنا	باسمة العنزي	43
	– شاهد من ساحة جامعة حلب	حسين برو	44
	– أدونيس .. بين المهاتما غاندي والدكتور غيفارا	خالد حج علي	46
	– خربشات	ريم فاضل	49
	– أنا المرأة التي ستغادر الآن	سري علوش	50
	– ليكن السقوط بداية	د. صفوان القاضي	52
	– حب في زمن الثورة	لمياء شلهوب	53
	– بين كندرة الزيدي .. وشحاطة حلب	صفحة المندسة	54
ايقاع الأدب	– ماذا لو تأتين لبضع دقائق ؟	حسن عامر	55
	– اكتشاف الحديقة – إلى كندة السوادي	خضر الآغا	56
	– قصيدتان	عارف حمزة	58
	– ممالك الخوف – أزقة الندم	كمال نجم	60
	– مسير	محمد حج بكري	61
	–المرثية الناقصة – حيث لا أحد	عماد الدين موسى	63
	– أنا أدرى .. بنعومة الغزال	نسرين الطرابلسي	65
	– تراه/ها منهم – قصة قصيرة	غفران طحان	66
ايقاع الومضة	– أميرة – مصطفى – سعد الدين		68
ايقاع القانون	– بناء دولة القانون في سوريا	د. نائل جرجس	69
ايقاع الترجمة	– الوجه الآخر للربيع العربي – توماس فريدمان	نبيل نبو	70
ايقونة العدد	– يوسف عبدلكي		71
كولاج			72

قبل أن نبدأ

كلمات حول الملف ـ كافتتاحية

الطائفية – ملف العدد – تصبح حديثنا اليومي . نستفيق على مفاجأة أن خمسين سنة من حكم رصف كلمة علماني الى وصفه لم تكن بكافية لجعل الحديث عن الطائفية يثير الضحك والسخرية بدل من اثارته للرعب وإعادة الحساب . ضحك كما لو أنك تقول لأحد قاطني طوكيو اليوم لأي فخذ ساموراي تتبع سيدي . رغم اعتداد اليابانيين الشديد بتراثهم .
هذه الأميرة النائمة بتعويذة ساحر . والتي لُعِنَ من يوقظها كفتنة لا تبقي ولا تذر . لم هي نائمة ؟ . وأي عقار جعلها تستفيق منذ استفاقتها في الثمانينات ثم عودتها للنوم طوال عقود . من الذي يفك تعويذتها كل مرة ويطلقها تغوي شباب البلاد ليتبعوها كالمسوسين وينفذوا رغباتها كرها وعدمية وتقتيلا ؟
هل هو قدر السوريين أن نهوضهم رهن بنومها ويوم تصحو عليهم تأجيل أي نهوض فهي كما أسلفنا لا تبقي ولا تذر ؟
أليس سؤالا ملتبسا هذا الذي نصوغ مستندين إلى ألوف الكلمات المماثلة المحذرة الوجلة ؟ دعنا نحاول ثانية :
هل هو قدر السوريين أن عرقلة نهوضهم كل مرة يكون بوضعهم بين خيارات الموت أو العبودية . بين الافناء المتبادل كمجتمع أو بقاء الحال على ما هو عليه مأزوما ومختنقا وأيضا دون نسيان حورية الظالمين النائمة – الطائفية – لتكون سلاحا قيد التخزين دائما وبصيانة دورية تضمن جاهزيته كل مرة .
هل يمكن فعلا مواجهة الطائفية بالامتناع عن الحديث عنها . البعض يقول كررتم الموضوع وقلبتموه عن حروب واقتتال لدرجة صرنا نحلم به ونراه يوميا ونتخيله حتى في حوادث السير . وهذه حتما شكوى وجيهة فلا الحديث عن الطائفية وأخطارها اليومية كاف ولا التغني بسوريا الماضي الانساني التضامني المشترك كاف أيضا . إن خير المواجهات ما أرسي على قواعد البحث والعلم , وخير المواجهات اليوم ما ينطلق من تعرية الوجه الحقيقي للعقل الطائفي وهذا سيعيدنا بالضرورة لتعريف كلمة الظالمين . أولئك الذين يحشون بواريدهم في كل مرة يرون أن جغرافيا سكانية ما تجد نفسها تحت السير الناقل للمصالح والآمال والمزاج العام منتقلة باتجاه دولة وأيضا بالضرورة لتعريف هوية وطن . هنا فقط سيجد العقل الطائفي غايته في الأميرة النائمة ليوقظها وهؤلاء سنكتشف أنهم ليسوا أصحاب السلطة المطلقة في السياسة والاقتصاد والحكم والمجتمع بل ستكون جمعا هلاميا لا منطقيا من قوى وعقليات ولاهوتيات ومتعارضات وعداوات لا يجمعها الا ادراكهم أن هوية وطن ومشروع دولة سوف يقصي الحاجة اليهم جذريا وسوف تكون قيمة الانسان الفرد قيمة عليا بتناغم حق مع الجماعة كمكمل لا كرقم .
هل علينا أن ندرك أية معركة يندفع السوريون اليها اليوم ؟ هل ندرك بالضبط المعنى الالتباسي لعبارة الشعب يريد اسقاط النظام وقدرتها على تصوير المسألة وكأنها إعادة لترتيب حجز الغرف في فندق ؟؟
نتمنى ذلك بعمق وحرص وعمل . ولنرفع دون هيبة " الشعب يريد بناء النظام " وربما لأول مرة يعي الشعب تأسيسية ذلك .
في الملف – محاولة متواضعة لذلك

رؤية للتغيير

ماذا بعد رحيل النظام السوري؟

سمير عيطة

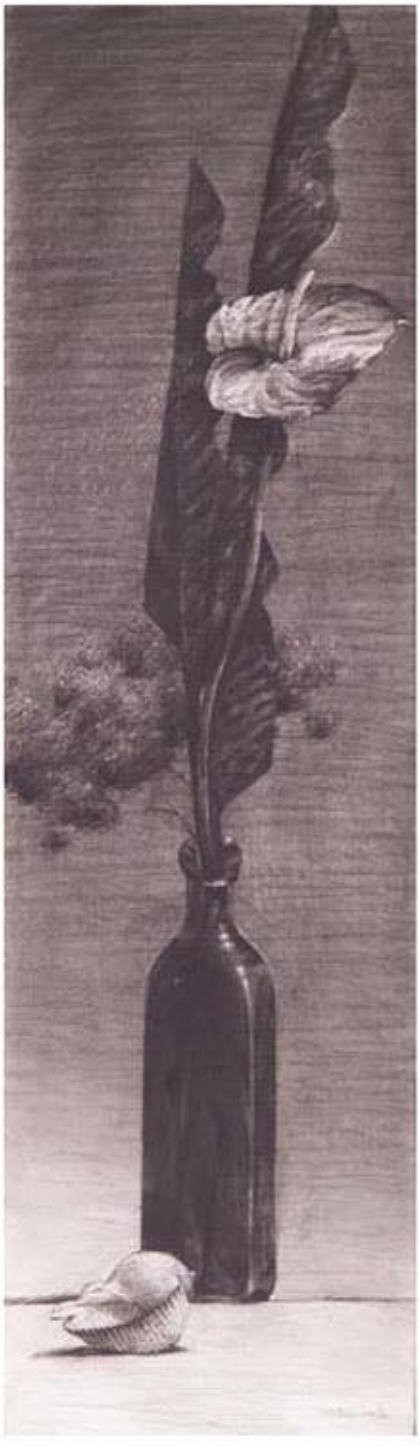

من الواضح أنّ هيمنة السلطة القائمة في سوريا قد شارفت على نهايتها. إنّها عاجزة عن الخروج من المأزق التي وضعت نفسها به، وأصبحت أجهزتها الأمنيّة المنهكة لا تقوى على وقف إرادة السوريين في الإطاحة بها. سترحل سلطة الأسد، بل هي رحلت عملياً عن الكثير من المناطق. ولكنّ المسألة الرئيسة اليوم هي أنّها وضعت شعب سوريا في مأزق خطير، جعله مهدّداً في كينوناه وجوده من خلال شعار شبّيحتها أثناء قمعهم: "الأسد أو لاَ أحد!".

التحدّي الجوهريّ اليوم هو إذاً في الطريقة ذاتها التي سترحل فيها السلطة وفي مسار الأشهر التي ستلي هذا الرحيل.

على الصعيد الداخليّ، هناك توافق على هذا الرحيل. وحتّى أولئك الذين لم ينخرطوا كاملاً في الثورة، باتوا مقتنعين أنّ "النظام قد سقط"؛ إلاّ أنّهم مترددّون أحياناً ومتخوّفون ممّا سيأتي بعده من منطق الحرص على نموذج المجتمع السوري. السلطة عبثت بالوحدة الوطنيّة كي تبعد أمد رحيلها؛ وأجزاء من "المعارضة" وقعت في الفخّ الذي نصبته لها، وزُجّ بتيارات متطرّفة كانت غائبة عن المشهد السوري، بل دفعت قوى خارجيّة باسم مناصرة الثورة بمنطق طائفيّ يخدم في الحقيقة سياساتها هي، وليس البلاد.

على الصعيد الدولي، هناك أيضاً توافق مماثل، وهو جوهر مهمّة كوفي عنان. وروسيا نفسها تتحدّث عن "حلّ يمنيّ"، ما يعني رحيل قمّة هرم السلطة. الاختلاف بين المواقف هو إذاً على طريقة هذا الرّحيل. والملاحظ أنّ القوى الخارجيّة لم تكن مستعجلة عليه. من ناحية لأنّها أرادت أوّلاً أن تموضع نفسها ونفوذها في النظام القادم؛ ربمّا عبر هذا الطيف أو ذاك من "المعارضة". وهذا لا يخصّ فقط المواجهة بين روسيا والصين وبين ما يسمّى "بأصدقاء سوريا"، بل أيضاً ما يجري من صراعات خفيّة ضمن هذه المجموعة الأخيرة. من ناحية أخرى، هناك حسابات بعض القوى الخارجيّة حول استنزاف ما هو مدنيّ وتعاضديّ في نسيج الشعب السوري، وكما في ليبيا إعادة إحياء الانتماءات التقليديّة من سباتها لتطغى على الروح الوطنيّة، كي يبقى البلد ضعيفاً لأمد طويل، وكي تصبح هذه القوى هي الحكم بين أطيافه. وتصبّ التصريحات حول التدخّل الخارجيّ، والإعاقة التي تمّت لمبادرة الجامعة العربيّة، والتي تتمّ اليوم لمهمّة كوفي عنان، في مسار دفع السوريين نحو الإحباط واليأس والتطرّف. والأمر نفسه بالنسبة للعقوبات الدوليّة.

لكنّ ما جرى في "مجزرة الحولة"، وفي القرى المجاورة لها، شكّل صدمة حقيقيّة وربمّا مفترق طرق في هذا السياق. لقد أيقظ ذلك الثائرين والمترددّين على حدّ سواء، بل وقد يدفع الخراج لحسم خلافاته من أجل رحيل سريع؟

يبقى الشعب السوري هو سيّد نفسه ومستقبله. ومن الواضح أنّ هناك تيّارات مختلفة تتجاذبه: أساسها سلميّ، وآخر تعسكر بالضرورة رفضاً لقتل أهله ودفاعاً عن شعبه، وثالث متطرّف إقصائيّ ومسلّح يريد أن يعبث بالحاضر والمستقبل. يأمل أوّل تيّارين التوصّل إلى حشد طاقات مختلف الأطياف لإحداث استعصاء يأتي بحلّ سياسيّ، تحت غطاء مبادرة عنان

إيقاع الصحافة

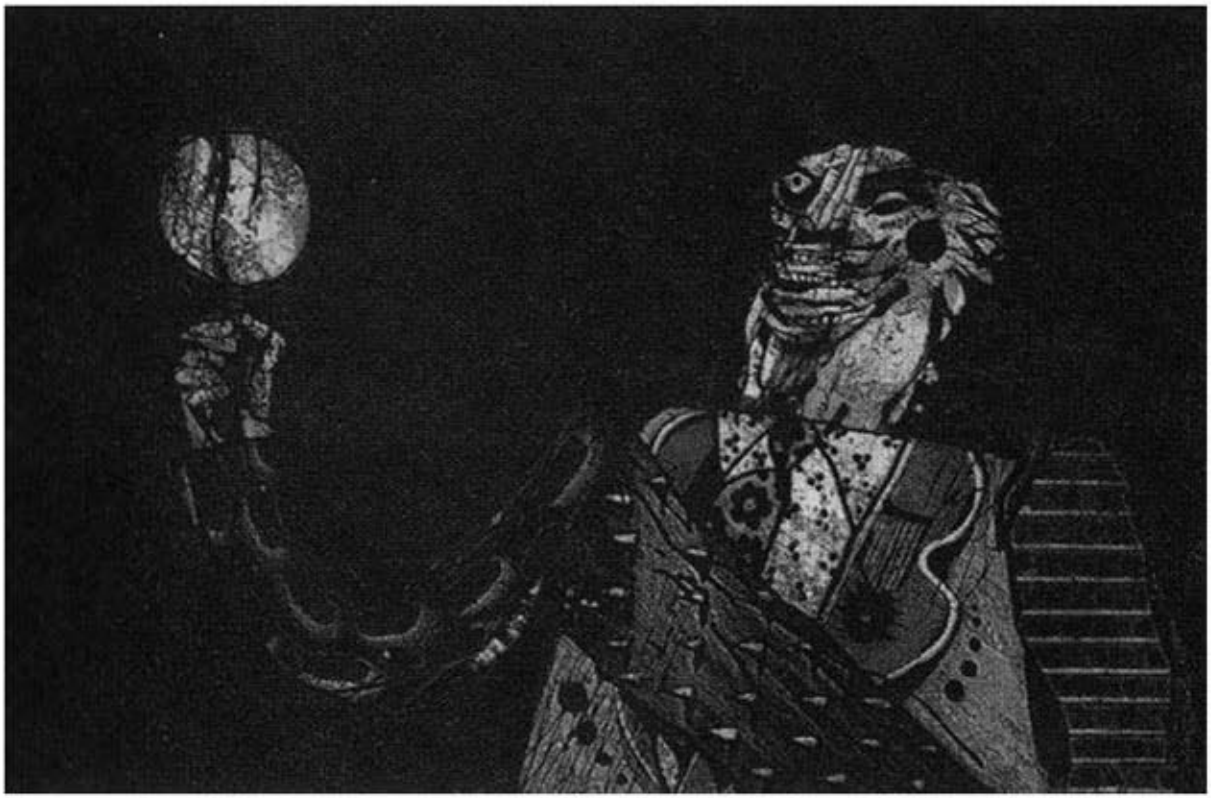

كبوتقة دوليّة، ويؤدّي بالنتيجة إلى رحيل السلطة مع الحفاظ على المجتمع والدولة. أمّا الثالث فيستغلّ المشاعر ويدفع إلى الانتقام من أطياف بعينها، مشعلاً حرباً أهليّة، راغباً في تأسيس مجتمع غير المجتمع، ودولة غير الدولة.

يدور جوهر هذه التجاذبات حول طبيعة الثورة السورية وأهدافها: أهي من أجل دولة المساواة في المواطنة والحريّات، أم هي تعبيراً عن صراع سنيّ–شيعيّ أو سنيّ–علويّ، أو من أجل أن "تعود الأغلبيّة للحكم" كما يقولون؟ وهنا يقع العبء كبيراً على التيّارين الأوّلين لضبط نضالهما وتنظيم صفوفهما، حتّى في ظلّ كلّ ما يتعرّضان إليه من قمع من النظام الآفل، كي يحفظا لبنة المجتمع ومؤسّسات الدولة. والمسؤوليّة أكبر على مؤسّسات الدولة، بما فيها الجيش النظامي، في التوقّف عن المسار الذي زجته فيه السلطة، والتلاقي مع إرادة الشعب الثائر. كما أنّ العبء ثقيل على كلّ من حيّدتهم السلطة في هذا الصراع كي يؤكّدوا على وحدة المسار والمصير. أي أن يعمل جميع هؤلاء اليوم ليس فقط بدلالة الصراع مع السلطة، بل خاصّة بدلالة ما سيأتي بعدها.

طريقة رحيل النظام ستحدّد معالم سوريا المستقبل، وهذا يرتبط باستراتيجيّات العمل في المرحلة المقبلة. هل ستعطى الأولويّة للتحرّك السلميّ، خاصّة في دمشق وحلب، أم للهجمات المسلّحة؟ وهل سيجرؤ قادة الاحتجاج على ابتكار مواقف آنيّة لتفادي الانزلاق نحو "الاقتتال الطائفيّ" كما يدفع إليه البعض: كأن يتمّ إقرار أسبوع دون تظاهرات وهجمات، بالتوافق مع المراقبين، لإثبات أنّ الثورة سيّدة الأمور وكدلالة أنّ ما بعد الرحيل ليس فوضى عارمة. فالصمت أحياناً أكثر دويّاً من الصراخ، مهما كان الألم.

كذلك هل ستفرض الثورة على المعارضة السياسيّة أن تتوقّف عن خطابات الإقصاء المتبادل، لتثبت على أنّها قادرة على التعايش بعد الرحيل؟ ليس فقط لوضع أسس عهد وطنيّ جامع، ولطريقة إدارة المرحلة الانتقالية، بل وهذا أهمّ وأكثر رمزيّة اليوم: لوضع أسس المصالحة الوطنيّة الشاملة والمحاسبة العادلة لمرتكبي الجرائم، مع ما يتضمّن ذلك من تصالح بين الجيش الحرّ والجيش النظامي لحلّ كلّ حالات الاحتقان من خلال النظر إلى المستقبل وليس الماضي. ولو اضطرّ الأمر أن يرتفع علمان سوريان جنباً إلى جنب إلى حين يختار السوريّون جميعاً علماً موحّداً جديداً.

الوفاء لأهداف الثورة وتضحيات أبطالها ليس أن يتبع رحيل السلطة حملات انتقاميّة وتصفية حسابات. بل أن ينتصر المجتمع والدولة التي أسّسها جيل الأجداد، رغماً عن أنف المحتلّ، من أجل "شعبٍ واحد ودولة واحدة".

المعارضة السورية... لوحة بائسة!

طريف الخياط

يصف بعض الكتاب الثورة السورية بأنها «يتيمة» إذا ما قورنت بثورات الربيع العربي الأخرى. ففي حين نجحت الثورة التونسية والمصرية بسبب تحييد الجيش، وثورة اليمن بحل سياسي عبر وساطة وضغوط سعودية، وحسمت الثورة الليبية بتدخل عسكري للناتو وتسليح الثوار، بعد انشقاقات كبيرة ومتسارعة في نظام القذافي شكلت نواة المجلس الانتقالي الليبي، فإن الثورة السورية وجدت نفسها ضمن تعقيدات عرقية وطائفية وتوازنات إقليمية ودولية، في مواجهة نظام متماسك من حيث بنيته الأمنية و العسكرية.

يتمتع النظام السوري بدعم مالي وعسكري من إيران وروسيا وخلفهما الصين، في حين لا تتلقى الثورة السورية سوى دعما كلاميا سياسيا وماليا محدودا إذا ما قورن مع احتياجاتها والموارد المتوافرة للنظام، ما فرض عليها تحديات لم تواجه الثورات الأخرى، وأهمها مطالبتها بتشكيل جسم سياسي متناسق ومتوازن وقادر على إدارة الثورة والمرحلة الانتقالية، مؤلف من قوى سياسية مهمشة وأخرى ناشئة، لم تمتلك الوقت الكافي للتقارب ولم تعتد أصلا على العمل المشترك. حالة «اليتم» المذكورة يقصد بها عدم تبلور صيغة لدعم دولي جاد يرجح كفة الثورة، لكن هل يمكن تبرئة ساحة المعارضة من هذا «اليتم»؟

لعل الكثير من المحللين السياسيين يتفقون اليوم على أن توحيد المعارضة معجزة كبرى، مردها إلى أن جسمي المعارضة الرئيسيين، هيئة التنسيق الوطنية والمجلس الوطني السوري، منذ تبلور أدوارهما في الحياة السياسية للثورة السورية، لم يكفوا عن كيل الاتهامات لبعضهم في أجواء تنافسية. وتشكل قضايا طلب التدخل الأجنبي ودعم الجيش السوري الحر التي يتبناها المجلس نقاطا خلافية معلنة، و يعتبر المجلس الهيئة منخفضة الشعبية، ويتهمها بالتقارب مع أعداء الثورة كإيران وروسيا، واعتماد نبرة منخفضة لإسقاط النظام عبر حل سياسي طويل الأمد، لا يضع تنحي الأسد ضمن أولياته، وتتهم الهيئة التي تعتبر نفسها ممثلة اليسار– المجلس بسيطرة جماعة الإخوان والمتطرفين الإسلاميين عليه، وكان فشل الاتفاق الذي جمعهما تحت رعاية الجامعة العربية في أواخر ديسمبرمن العام الماضي نقطة فاصلة، رسخت بعدها الهيئة معارضة المجلس قبل معارضة النظام. على الأقل ذلك ما يعبر عنه الخطاب الإعلامي لكلا الطرفين، دون الخوض بتفاصيل السجال المفرغ بينهما وخلفياته السياسية التاريخية والأيديولوجية والدينية وامتداداتها الاجتماعية. ومع استطالة أمد الثورة وانكشاف الطرفين من الدعم الشعبي، الذي وجد نفسه هو الآخر «يتيما» بلا هيئات سياسية واعية أو دعم دولي جاد، تشكلت مناخات مناسبة لعمليات تفريخ متتالية لتنظيمات معارضة هزيلة تفتقر إلى الرؤى والتأثير، أضافت لطخات رديئة إلى لوحة المعارضة البائسة.

يغيب اليوم عن الساحة السورية تيار سياسي منظم وفاعل، يتمتع بشعبية واسعة واحترام المجموعات العسكرية المعارضة وعلاقات دولية متوازنة بين الكتلتين الشرقية والغربية، ليشكل محورا يستقطب – بما يقدمه من قيمة مضافة – جميع الأطراف السياسية للمعارضة، عبر قوته الناعمة و أوراق الضغط التي يمتلكها. وفي حين يشار إلى المجلس الوطني على أنه العنوان العريض للمعارضة، يبدو أن هذا العنوان معتل بأزماته الداخلية، ولا يملك طرقا معبدة تسهل الوصول إليه. والهيئة بدورها فقدت بريقها، بعد انسحاب العديد من الشخصيات الرئيسية والمعروفة بتاريخها النضالي، لتشكل تلك الأخيرة المنبر الديموقراطي السوري. يرفض المنبر اعتبار نفسه منافسا للهيئات السياسية الأقدم، ويعرف نفسه كـ «ساحة لبناء التوافقات والمشتركات بين السوريين من أطياف سياسية عديدة» حسب وصف د. حازم نهار أحد قياديه. تبدو فرص المنبر منعدمة في التوفيق بين الهيئة والمجلس، وفرصته الوحيدة تتمثل باستقطاب الحراك المدني وإعادة تنظيمه، والتي بدورها تبدو مهمة صعبة خصوصا أنه يتكون من شخصيات علمانية في مواجهة شارع تزداد أسلمته يوما بعد يوم. حتى أن سقف التوقعات من المنبر بدأ ينخفض كما يعتقد بعض أعضائه البارزين، ومن بينهم ميشيل كيلو الذي حذر أخيرا من تحول المنبر إلى دكان جديد من دكاكين المعارضة، حسب وصفه. أمام هذا المشهد السياسي الهزيل، يبدو أن الجامعة العربية حاولت تقريب وجهات النظر بين الشخصيات الأبرز للمعارضة بعيدا عن تشكيلاتها السياسية، من خلال توجيهها دعوات شخصية لحضور مؤتمر توحيد المعارضة السورية منتصف شهر مايو الفائت تحت رعايتها، ما أثار حساسية الهيئة والمجلس، فرُفضت الدعوة وأُجل المؤتمر. حتى الآن،

إيقاع الصحافة

قدمت المعارضة السورية خدمات جليلة للنظام، بدءا بالهيئة التي يصفها بمعارضة الداخل الشريفة، مرورا بالمجلس الذي يعتبره جزءا من مؤامرة متخلية وحليفا للاستعمار والرجعية حسب توصيف الأدبيات البعثية، وانتهاء بالتركيبات المرتبكة الاخرى، ما أمّن للنظام مساحة مريحة للمناورة تجعله مطمئنا لرداءة الأداء السياسي لمعارضيه، الذين انشغلوا بإدارة حرب إعلامية ضد بعضهم بشكل منفصل عن الوقائع ومجريات الحراك الثوري على الأرض. لقد حصل الأسوأ إذ انقسمت المعارضة تبعا لتجاذبات السياسة الدولية والإقليمية، وبدا توحيدها معجزة، لكننا يجب أن نتذكر دائما أن انطلاق الثورة السورية وامتدادها الأفقي على جميع المحافظات كان بحد ذاته معجزة. السوريون شعب مر فيه الكثير من الأنبياء ويتقن صنع المعجزات، سيمضي في ثورته وحيدا حتى يكتمل التحرير.

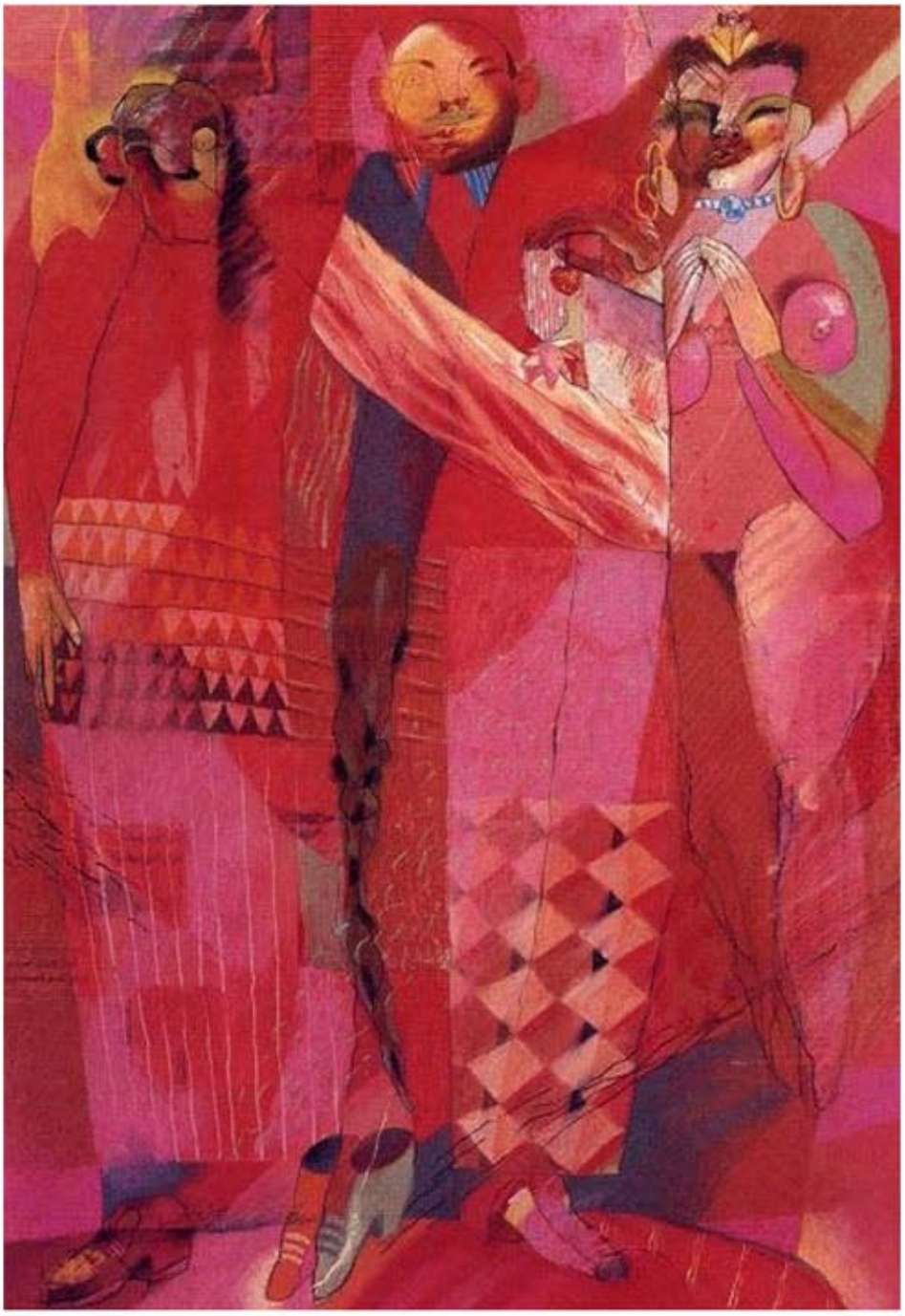

النكوص النسوي في النقد الشمولي

أحمد صلال

المستغرب والمستهجن في مقالة الكاتبة السورية شهلا العجيلي بجريدة 'القدس العربي' في تاريخ 30-11-2011 والمعنونة تحت 'النكوص النسوي في الحراك العربي'، وقوعها في كثير من المغالطات ومخالفة المنطق العقلاني- على الأقل في الحالة السورية، اعتماداً على التشابه في الربيع العربي ككلية ولضرورة التركيز في مقاربة نموذج قابل للتعميم - في رصد الربيع العربي من خلال 'التبئير' الحفر الفكري في الحراك النسوي، فالكاتبة تعتمد في رصد الحراك النسوي في الاتكاء على تنظيرات نسوية تقوم على شذرات كلاسيكية من هنا وهناك، لتكوين مسخ نسوي شمولي يحاكي النسوية وفق ما يخدم هذه الأنظمة الشمولية، والاعتماد كما فعلت الكاتبة على عملية 'التلصص من ثقب الباب' على قضايا المرأة.

المغالطة الأولى: في طرح ومعالجة الحالة النسوية في إلقاء اللوم والتقريع على الحراك النسوي العربي، الناتج تخلفه عن سبب ذاتي هو الحراك النسوي العربي بما هو قائم وكائن ماضياً وحاضراً، كما تذهب الكاتبة، وطرح أمثلة لم تكن موفقة فيها وتقارب المحاكاة الشعبوية للمواضيع من حيث اتكاء الموظفة الأنثى على شريكها الذكر في إنجاز واجباتها الوظيفية والخروج مبكراً من العمل، ناسية أو متناسية المعالجة الموضوعية على ضوء الممارسات الشمولية التي أرست صنوف الفساد ليظل المجتمع متخلفاً وفاسداً على كافة الأصعدة لبقاء هذه الأنظمة مسيطرة وسائدة في المجتمع..

والمغالطة الثانية: محاكاة الحالة بعيداً عن واقع ورصد الحراك على أرض الواقع والاكتفاء بخلع مبادئ تنظيرية لا تراعي التعامل مع الواقع بواقعية ميدانية في تشريح الربيع العربي، تعتمد على الرصد والاستكشاف، فالنساء السوريات شاركن في الحراك منذ الانطلاقة الأولى، بدءاً بمحاولة عدد من المثقفين الاعتصام أمام البرلمان في تاريخ 2-5-2011 الذي دعا له ثلاثة صحافيين سوريين على الشبكة العنكبوتية، حيث كان عدد المشاركات من النساء يساوي بالكم والكيف الرجال ضمن علاقة تفاعلية تشاركية تخرج عن العلاقة الجندرية، كما توصف الكاتبة فكرياً، وكان من بين المعتقلات الفنانة التشكيلية السورية هبة الأنصاري - قبل اعتقال مروى الغميان بفترة تقارب الشهر- حيث كانت أول معتقلة في الحراك وبقيت لسويعات حتى تم الإفراج عنها، واعتصام الداخلية الشهير حيث فاقت المشاركة النسوية فيه كماً وكيفاً المشاركة الذكورية، ولعبت المثقفات السوريات أمثال سمر يزبك وسهير الأتاسي ورزان زيتونة دوراً رائعاً وبطولياً، حيث لم تتزحزح سهير الأتاسي من مكانها وهي تتلقى حفنة من الهراوات وتم اعتقالها بشكل بربري غير مسبوق. كل ذلك يجري لسهير بينما صديقتها سمر يزبك تحتضن طفلاً صغيراً كانت أمه التي اعتصمت من أجل زوجها المعتقل تركته للريح بعد اعتقالها هي وابنها الكبير، وهذا الدور كان استمراراً لدور تاريخي اضطلع فيه الحراك النسوي السوري بشكل واسع منذ ثمانينات القرن المنصرم، حيث تعرضن للاعتقال ولشتى صنوف الاعتقال والاغتصاب الجسدي والروحي، والعمل الأدبي التوثيقي'نكتيف' للكاتبة السورية روزا ياسين حسن، خير ما أحيل إليه في هذا الصدد، وليس المقصود من مشاركة المرأة إحياء قيمة جاهلية مستفزة للرأي العام كما تصبو إليه الكاتبة، لتحويل قيمة الشرف إلى قيمة الكرامة كعلاقة'براغماتية'، ورأي الكاتبة هذا يؤدي بنا إلى عزوف النساء عن المشاركة في الربيع العربي من أجل إثبات حسن النية، وهذا الرأي مثير للاستغراب...!

والمغالطة الثالثة: كون الحراك السوري الصانع لانتفاضة الحرية السلمية نسويا بامتياز من حيث القيادات، فالمحامية صاحبة الكاريزما الحديدية والمتدربة في مكتب الحقوقي السوري هيثم المالح رزان زيتونة، استطاعت تفعيل ما يسمى 'لجان التنسيق المحلية' إحدى أهم التكوينات التي أفرزتها الانتفاضة لتكون حاضنة تنسيقية للحراك السلمي العفوي، وكذلك سهير الأتاسي التي عملت على تكوين ما يسمى'اتحاد التنسيقيات السورية' التكوين الآخر الذي له وجوده في تنظيم وتوجيه الفعل الشعبي الحيوي، والناشطات الفاعلات والمناصرات للانتفاضة بكثرة لا تحصيها الأرقام (منتهى الأطرش- هنادي زحلوط - ملك الشنواني - رزان غزاوي - مروى الغميان - ريم غزي....)، هذا يحيل إلى كونهن من صانعات الانتفاضة ولسن نبات زينة ومحكومات بمركزية ذكورية، كما تصبو إليه الكاتبه، والمجلس الوطني السوري كممثل شرعي ووحيد هن

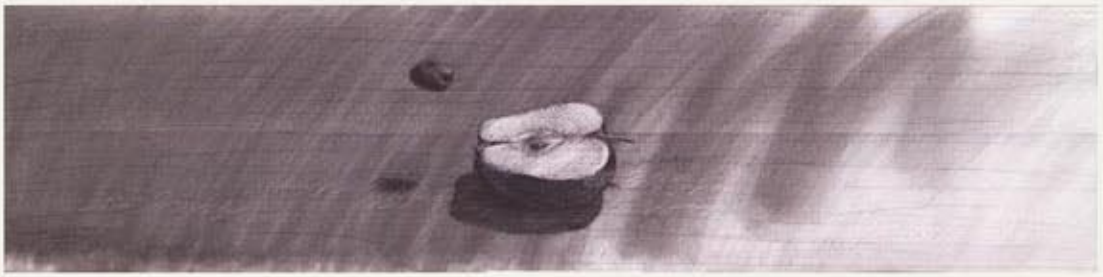

ممثلات في مكتبه التنفيذي والهيئة العامة وبدور قيادي وفاعل، والدور الثقافي والإعلامي الذي قامت به المثقفات والإعلاميات النسويات المناصرات للانتفاضة جزء من الاشتغال على الحراك وليس الدور اليتيم كما صورته الكاتبة، وهو دور مهم جداً كجزء من موزاييك الانتفاضة.

المغالطة الرابعة: تأتي حالة القتل والجرح والاعتقال والاغتصاب كأسلوب تنتهجه الأنظمة الشمولية لكبح جماح الشارع الثائر لنيله حريته وكرامته، والنساء لسن بمنأى عن آلة لا تتقن سوى فن القتل والتنكيل والقيمة، والتفكير الأخلاقي بطفل أو امرأة ليست في قاموسها، وبدلاً من نقد المعارضة والمساواة بين الضحية والجلاد هذا المنطق الأجوف والأعمى والمرفوض كلياً، لتدين الكاتبة الكريمة التي تزعم أنها خرجت من عباءة الراحل الكبير عبد السلام العجيلي والوراثة الشرعية لمشروعه الثقافي، الأفعال القمعية الواقعة من قبل النظام الشمولي الذي تتدافع عنه منذ بداية الانتفاضة – عبر المحاضرات الملقاة في جامعة حلب والمراكز الثقافية السلطوية ومقالتها الأسبوعية في جريدة 'الثورة' السلطوية والظهور المتلفز الدائم على شاشات النظام السلطوي – على النساء خصوصاً والذكور بالعموم، بدلاً من تهويمات نسوية نقدية شمولية لا تخرج عن نسق الخطاب الخشبي الشمولي المنافح عن أنظمة شمولية تتدعي أنها أعطت المرأة مكتسبات أين هي هذه المكتسبات؟ أمية مرتفعة بين النساء، خاصةً في الريف السوري حيث تصل معدلاتها بين النساء 46% تسرب النساء من المدارس بشكل كبير، انتقاص قانوني لحقوق المرأة وتعاملها بعض النصوص بتبعية ذكورية قطعية، جرائم الشرف المرتفعة جداً، وتجئير المنظمة التي تعنى بشؤون المرأة لمصلحة النساء البعثيات، مهادنة المؤسسة الدينية والقبلية من أجل كسب الدعم والتأييد السياسي.... وفي هذا الصدد أحيل الكاتبة للفيلم الوثائقي 'كلام حريم' إخراج سامر برقاوي والسيناريو للكاتب عدنان عودة الذي يرصد واقع النساء المتردي في الجزيرة السورية عموماً والرقة أنموذجاً وهي المدينة التي تنتمي إليه الكاتبة شهلا العجيلي.

المغالطة الخامسة: النساء في الحراك النسوي يملكن رؤية للمستقبل المبني على الحرية كقاعدة لبناء الفعل الحيوي والنسائي، التي تحصل المرأة من خلاله على مكتسبات حقيقية هي من حقها وصولاً لحقوقها الكاملة، وتلك التي تعنى بخصوصيتها الثقافية والتاريخية النابعة من التراث بعيداً عن الانتقاص المرضي، ويكون للحراك النسوي استلزام وواقع جزء مهم مبني على الدور الحيوي والتاريخي الذي قامت به، وبالنسبة للرؤية يفرزها الحراك خلال وما بعد انتصار الانتفاضة والعمل السياسي الجاد للخروج من الأزمة المرضية العامة والتركة المرضية التي أورثتها الأنظمة الشمولية للشعوب بما فيها الحالة النسوية، والحراك بداية له وليس فعلا مكتملا.

الكاتبة السورية شهلا العجيلي النظرية النسوية بعد الربيع العربي، وخاصةً الحالة النسوية السورية غير المألوفة تفرداً وتطرفية حياتية مبدعة من أجل الحرية، تحتاج للابتعاد عن النكوص النسوي الشمولي، تماشياً مع الحراك الذي سبق هذه اللغة الخشبية بأشواط بعيدة، وعلى ما يصطلح عليها نخبة، أن تماشي الشارع أو على الأقل السير بجانبه بواقع وواقعية، ضمن تأثر وتأثير وصولاً لتفاعلية تشاركية، تمكنها من الخروج بمشروع نسوي ثقافي يعبر عن طموح الحراك النسوي بعد الربيع العربي

الفساد!!! حتى في الخبز

براء الحمصي

"أين يكمن" الفساد؟

لم تكن الثورة السوريّة ثورة جياع، على ما أعلنته قواها المحتجة في الشارع ،ربمّا لأنفة السوريّين وتعفّفهم النابع من عراقة أصيلة ، أو ربمّا لأنّهم تآلفوا مع العضّ على شفاه أدمنت الصمت طويلا ،قبل أن تتحوّل إلى مُسبّحة بالحمد والشكران على نعمة الكفاف من عطايا السلطان ،ولربمّا هي ردّة فعل تجسّدت كبرياءً مترفّعاً عن ظلمٍ وقهرٍ فرضه نظامٌ أدمن القمع طويلا.

تنوّعت أسبابُ صمت السوريّين الطويل قبل تسمية آذارهم ب(ثورة الكرامة)،لبداهةٍ جليّة بأنّ الكرامة تختزل كلّ معاني الحياة الكريمة ،وردّاً على الفساد الذي يختزل كلّ معاني الشرور.

لقد وصل الفساد الذي أنهك البلاد والعباد إلى درجة غياب ضبابي في تنوّع وعمق أسبابه،أو حتى توجيه إشارة واضحة لرموزه السياسية والفكرية معاً،لا بل إلى درجةٍ أن تغيير الشعب والإبقاء على الحاكم لم يكن مجردّ "نكتة"،وقد أدّى ذلك بالتالي إلى "تشويش" في الأسباب الكامنة والمُعلَنة لثورة الكرامة, بالرّغم من كونها ليست بمعزلٍ عن سياق الثورات عبر التاريخ بُثالوثها الخالد (الجوع, الفقر, المرض)، أحد ينابيع الفساد على مر الأزمنة, و إن اعترت أضلاعه بعض المتغيرات تبعاً للمكان والزمان.

بالمجمل, و مهما تفرّعت الفصول و الأبواب , يتربع الفساد عرش العناوين الحاملة لمضامين الثورات, كما تحتلّ الفلسفة موقعها الكلاسيكي كأمٍ للعلوم جميعها, على أنّ الفساد في الخصوصية السورية في عقود البعث المديدة حاكماً, هو ارتقاءٌ من تراكم الأخطاء إلى رسوخيّته ممارسةً على الأرض, فقد غادر الفساد السريّة و السراديب, ليغدو مُعلَناً و واضحاً, بل و شرساً, قبل أن يتأدلج ليصيرَ عقيدةً راسخةً, يُدافع عنها بشراسةٍ, و أدّعي أنّه تمادى ليكون فنّاً احتفاليّاً يضاهي كرنفالات في الغرب للتغنّي بجمال القبح.

لم تتناول الدراسات أسباب الفساد في الحكم البعثي للبلاد بوفرة،لأسباب بديهية يمكن اختزالها –ربما– إلى استمراريّته في الحكم (حتى لحظة كتابة هذه السطور)، ربمّا تكون بعض الأبحاث تناولت منطلقات البعث النظريّة بشيء من التحليل و النقد, غير أنّ غليان الشارع، وصمته معاً يُجمعان على فساد التطبيق العملي, و الشباب الثائرُ في الشارع ربمّا لم يعايش مثلا مصطلح (التحويل الأشتراكي) أو لم يسمع به حتى، و لكنّه يُدرك بخبرته المتواضعة و المتسارعة أنّ ذلك المصطلح لا يعني سوى (توزيع الفقر على الجميع)، وكذلك هو الأمر عندما يسمع بمصطلحٍ مُبتدَعٍ حديثا كمثل: (اقتصاد السوق الاجتماعي) الذي لا يعرف الثائرون على الأرض غير أنّه طريقةٌ جديدةٌ للنّهبِ المُنهج.

في الواقع إن بحث فساد النظام البعثيّ بين النظريات و التطبيق و تحولاتهما ضخم و معقد و يحتاج إلى الكثير من تكاتف الجهود لدراسته ،و لعل ذلك من مهمّات المؤرّخين الجدد, هنا في هذه المحاولة سنقتصر على الإشارة إلى (الخبز و المازوت) دونما تفصيلٍ بحثيّ كمثال فقط ربمّا يصلح للقياس في بُنية المنطق البعثيّ كما عايشناه، و ليس كما قرأناه ،مما أدّى إلىّ هوّةٍ عميقةٍ تفيد استحالة الحوار بين قوى المعارضة و الموالاة للإختلاف المنطقيّ الذي لا يستقيم فيه حوارٌ سوىّ "للطرشان" كما يقال.

شيءٌ عن الخبز و المازوت

شاعت بين السوريّين معلومةٌ حرص فقهاء الكلام من جمهور النظام ،و كذلك الإعلام الرسمي على ترسيخها حتى باتت كبداهة مفادها: أن الدعم الحكومي للخبز "الرسمي" يصل إلى أربعة أو خمسة أضعاف تسعيرة بيعه للمواطنيين, عاشت هذه الشائعة في مناخ كان مستعدّاً لقبولها ،إذ لم يُعالَج الأمر في تفكير الناس، كغيره، لأسباب عميقة و عديدة يبرز منها سبب ظاهريٌ و بسيطٌ هو :مقارنة تسعيرة الخبز الحكومي بالخبز الغير الحكومي (يسمى في سورياً الخبز السياحي)، و ليس فقط بغياب الانتقاد في وسائل الإعلام شبه المعدومة أصلاً، و لا رُوّاد لمتابعيها إن وجدت ،بل لبلوغ الفساد في رؤوس أولئك المحاجين دفاعاً عن نظامٍ مازال يدعم الخبز في زمن سحقت العولمة فيه فقراء العالم، كما تنتشر الجريمة في أمريكا المُدّعية للديمقراطية ،وتتفسّخ العلاقات الأسريّة في أوربا و..و..و ما إلى ذلك من "اضطراباتٍ في منهجيّة تفكير" كثيرٍ من المدافعين عن

النظام البائس ،حتى بمستوى ربط السؤال بالجواب ،مما يوضّح حالة استغباء حقيقيّ للشّعب السوري "القطيعي"،الذي لم "يفتح فمه "عندما رُفع الدّعم الحكوميّ عن المازوت بزيادة ثلاثة أضعاف ونصف دفعةً واحدةً بحجّة تأهيل المجتمع السوريّ للإنخراط في العولمة الاقتصادية الحديثة ،دون النظر الى الانتماء لهذا العالم أولاً!.

لابدّ من الإشارة هنا إلى أنّ "الخبز والمازوت" لكلّ منهما تفاصيل وأرقامٌ وتواريخ لسنا بصددها هنا سوى بالإشارة الى التوظيف السياسي لهما،ولاسيّما الخبزُ لما هو معلومٌ عن رمزيته في الثورات بالرغم من إشارة الإنجيل الشهيرة التي يعرفها الجميع :(ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان).

و إذا كان الفساد السياسي في القضايا الاقتصادية التي تمسّ أساسيات حياة المواطن، فإن انتشار الخطأ الشائع في تضخيم أرقام الدعم الحكومي لبعض المواد والخدمات يُحيلنا إلى البحث عن المسؤولية في الشائعات الدارجة لكذبات النظام الكبرى في كل المرافق و الخدمات الحياتية, فرقمٌ اعتاد رجالات النظام على تكراره مثلا: عن تكلفة باهظة تتحمّلها الدولة في التعليم المجانيّ لأبنائنا الذين يعودون إلينا بعد سنوات طويلة في "معتقلات" المدارس الحكوميّة و هم أميّون تماماً، و أعني تلك الأميّة البائدة (القراءة و الكتابة).

الواقع أن ملفّات الفساد هي كوارث وطنيةٌ بكلّ ما تعنيه الكلمة ،و لعله الإرث الأصعب للشعب السوري, فمنذ البنية التحتيّة المترهّلة ،بل المتوقفة عن الزمن بفعل ترميم الترميم "الترقيعي"،وليس انتهاءً بالنّهب الصريح في قطّاع الاتصالات الذي تعادل فيه كلمة "مرحبا" ثمن كيلو الخبز الرسمي،ومرورا بكل مرافق الحياة ،العامة منها والخاصة.

مؤخرا،وفي ظلّ ثورة الكرامة السورية أدرك السوريون لماذا يدافع النظام السوريّ عن بقائه بكل هذه الشراسة ،مع إحساسهم بأنّ "ما خفي كان أعظم" .

لم يعد السوريّ يتلعثم أمام المحقّق الأمني عن أسباب احتجاجه في مظاهرات لا تنام ،بالرّغم من شهرة المحقّق السوريّ العريقة في انتزاع اعترافاتٍ من التماسيح بأنها أرانبٌ...أو العكس.

زهير سالم

الثورة السورية والحل اليمني
هل يصلح المستر هايد بديلاً للدكتور جيكل...؟!

لا تبحث قيادات المجتمع الدولي المشغولة بهمومها ومصالحها عن هم إضافي يشغلها في هذا القطر أو ذاك . لقد رأت هذه القيادات على مدى قرن مضى في أنظمة الاستبداد الثوري الحاكمة في العالم العربي ضامنا لحالة من الاستقرار ، ولو بممارسة كل بشاعات الأنظمة السلطوية . لقد أتاح لها الاستثمار في هذه الأنظمة فرصا كثيرة ، ووفر عليها الجهد لمتابعة التغيرات والتطورات وحساب الاحتمالات . ومن هنا جاءت أنسام الربيع العربي مربكة لهذه القيادات إلى حد كبير . وكانت هذه الأنسام في سورية أشد إرباكا حيث ما زالت هذه القوى عاجزة عن توفير بديل ضامن يقنع القوى الثورية ويضمن ما ضمنه المجلس العسكري في مصر من أفق لهذه التغيرات . يطفو على السطح اقتراح السيد أوباما أعلن فيه أنه سيدرس مع نظيره الروسي حلا في سورية على الطريقة اليمنية . !!!

بالنسبة إلينا يربط الشام باليمن دعاء نبوي كريم بالبركة للقطرين الشقيقين : اللهم بارك لنا في شامنا ويمننا . وهو دعاء طالما اعتز به أهل الشام وأهل اليمن على السواء . ولكننا ومع تقليبنا لحقيقة طرح رئيس أقوى دولة في العالم لهذا الحل نتأكد أن الاقتراح إنما نشأ من فراغ كما ألقي في فراغ . وأن الرئيس الذي اقترحه إنما يريد أن يتخلص بأي طريقة من مشكلة فرضت نفسها عليه في عام تجديد ولايته فهو لا يستطيع تجاهلها ولا يستطيع التفرغ لها.. ويشكل هذا أحد وجوه تعقيد الأزمة على المستوى الدولي .

فلو قارب السيد أوباما الحل اليمني بموضوعية أو فعل ذلك له مستشاروه لتنبه أن الأشقاء العرب الذين قدموا الحل المعقول للوضع اليمني عن خبرة ودراية واطلاع قدموا في الوقت نفسه الوصفة المناسبة للحالة السورية عن خبرة ودراية واطلاع أيضا . ولكن ارتفاع كلفة الوصفة العربية للحالة السورية جعل الرئيس أوباما يستنجد بالوصفة اليمنية فقط لأنها أقل كلفة . لقد ذكرني السيد أوباما بطريقة جدتي يوم كانت تصر على تناول نفس الدواء الذي استخدمته جارتها فشفيت من مرضها بجامع أن كلتيهما كانتا تعانيان من ارتفاع الحرارة .

ربما لم يخطر على بال مستشاري السيد أوباما أن يقارنوا مثلا بين حصاد سياسات القمع في سورية وحصادها في اليمن . حيث لم يقتل في اليمن ثلاثة في المائة من عدد القتلى في سورية. لم يقتل في اليمن شهيد واحد تحت التعذيب ، وهذا أكثر أهمية من القتل نفسه . عدد الأطفال الذين قتلوا في سورية وحدهم ضعف عدد الشهداء الكلي الذين قتلوا في اليمن من جميع الأعمار. حالات الاغتصاب التي لا تعرفها القواعد البشرية المؤيدة لعلي عبد الله صالح تجاوز أتباع بشار الأسد في ارتكابها كل الحدود . وحالات التمثيل بالأجساد و الاعتقال والتعذيب وهدم البيوت وإحراق المحاصيل كل هذه الجردة من الملفات الإنسانية قد تجعل في المساواة بين الحالتين السورية واليمنية ضربا من العبث لا يقدم عليها من يبحث عن حل حقيقي ذي مصداقية . لقد أقر مجلس الأمن من قبل مبادرة كوفي عنان كنوع من إلقاء العبء عن الكاهل . وكان الجميع يعلم أن المبادرة فاشلة ومع ذلك لا تزال تشكل كما يقولون الخيار المتاح الوحيد ..

والمفارقة الثانية بين الحالتين السورية واليمنية هي حالة توازن القوة التي يتمتع بها المجتمع اليمني المسلح القادر في كل مرحلة على حماية دمه وعرضه وماله عندما يتعرض لتهديد حقيقي

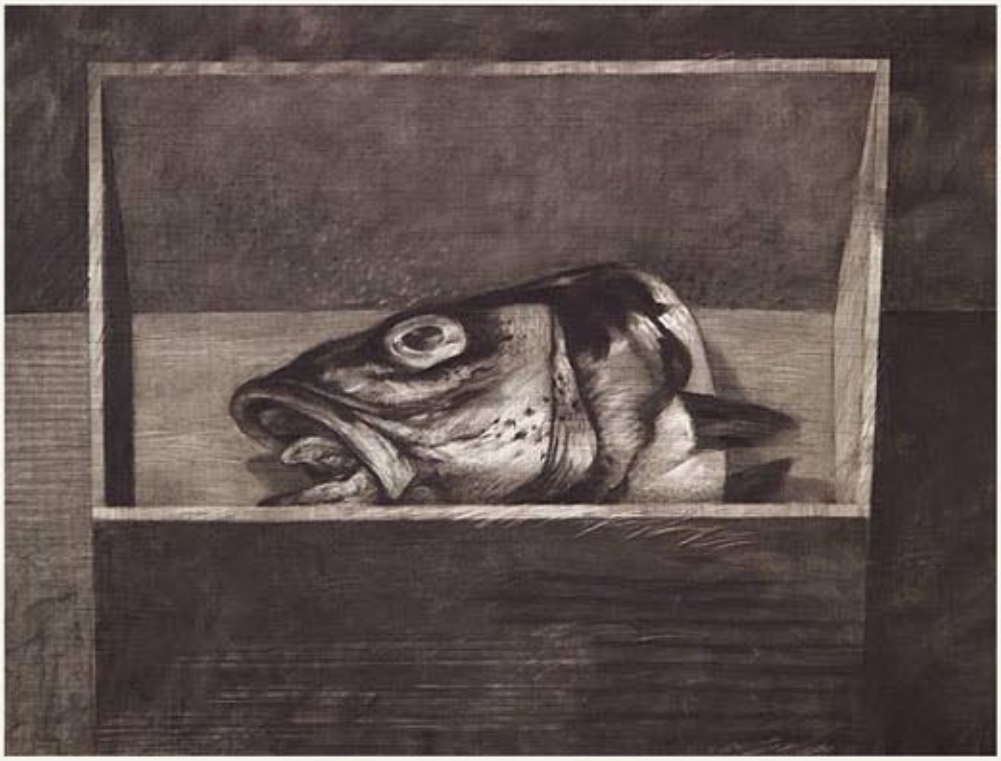

. لم يشهد اليمن أي حادثة يمكن أن نطلق عليها مصطلح مجزرة كالذي جرى في الحولة أو في كرم الزيتون أو في بابا عمرو أو في كفر عويد . سنرجع ذلك بالتأكيد إلى مستوى من الضبط الأخلاقي يتمتع بها الطرفان المتخاصمان . لا يجد المعارض اليمني غضاضة وهو يشن هجومه علي عبد الله صالح أن يقول الأخ الرئيس ؛ بينما قاد بشار الأسد المشهد في سورية بما ارتكب من فظائع أن ينظم لروحه وروح أبيه ترتيلة لعن تنطلق بها أصوات الثائرين ...

وبين الحد الأدنى من الأخلاقية العامة والشعور باللحمة المجتمعية على خلفياتها المختلفة وجدت المبادرة العربية في اليمن سياقها . يتنحى الرئيس لتتعامل القوى المتطاحنة في إطار من الشد والجذب. لقد تضمن الاقتراح العربي لسورية الانتقال بالمجتمع السوري أولا إلى الحالة اليمنية ، لإيجاد حالة من توازن القوة بين قاعدتي النظام العسكرية والميلشياوية المؤتمرة بأمره حتى عندما يأمرها بقصف المدن وتنفيذ المذابح وبين القوى المجتمعية المهددة دائما بالقتل والانتهاك والاعتقال لتكون قادرة على حماية وجودها . ربما يصلح هذا المدخل فيما بعد قاعدة لحل ما على الطريقة اليمنية ، حلا لا يقوم على العلاقة بين الجدلية بين الأعناق والسيوف .

ما لا يريد أن يقر به السيد أوباما والمجتمع الدولي هربا من كلفته أن كل المآسي والفجائع التي ارتكبت في سورية لم يقم بها بشار الأسد بشخصه – وهذا لا يعني إعفاء له من المسئولية – وإنما ارتكبتها قاعدته العسكرية والميلشياوية على السواء . وإن كنا لا نتصور فصاما أو خلافا بين الجزء الظاهر من سفينة النظام والجزء الغاطس منها فإننا نستطيع أن نقرر أن بشار الأسد هو وجه الدكتور جيكل الوادع لحقيقة مستر هايد الشرير . اقتراح الحل اليمني للحالة السورية يعني إسقاط البرقع عن وجه الشر ليواجهه السوريون كفاحا قد يكون هذا إيجابيا إلى حد كبير ولكن أي حل يمثله غير تسعير القتل وتأجيج النار ...

سامي شكري

كي لا يحكمنا الأسد
باسم الديموقراطية الدولية

خمسة عشر شهراً لم يحسم أي طرف سوري النزاع القائم بين شعب قرر انتزاع حريته وتقرير مصيره بيديه ونظام فاشي حكم البلاد والعباد بالحديد والنار منذ تسعة وأربعين عاماً.
خمسة عشر شهراً تبدلت فيها موازيين القوى على الأرض عشرات المرات ولم تحسم النتائج فيها بعد.
سؤال يتردد دائماً ويحق لكافة الأطراف التساؤل، وبما أن النظام وحسمه للموضوع لا يعنيني وليس هدفي فإنني سأبحث هنا الأسباب التي تعيق الثورة ذاتها عن انتزاع النصر رغم طول المدة وتلك المجازر.

في السابق حللنا ولا زلنا أسباب المشكلة الحقيقية بأنها مشكلة حراك ثوري سوري يعمل بأساليب مختلفة وأفكار متناقضة أحياناً أو مستوحاة من تجارب خارجية لا تتوافق مع الحالة السورية، ولكن بعد الوقوف مطولاً مع الذات والبحث خلف الأسباب الحقيقية وجدت أن مشكلتنا في سوريا هي مشكلة سياسية بامتياز، بدأت منذ ساعات الثورة الأولى ولا تزال مستمرة حتى يومنا هذا، فنحن وبعد عام وربع على اندلاع الثورة لم نستطع تكوين رؤية سياسية وأداة سياسية ضاغطة فعلاً على النظام وقادرة على لفت الانتباه الشعبي والدولي إليها لتكون بديلاً فعلياً للنظام خلال المرحلتين الثورية والانتقالية، وقد تجلى هذا العجز بداية بعدم قدرة الشباب على جعل تياراتهم التي أسسوها منذ بداية الثورة فاعلة سياسياً من التنسيقيات وإتحادها ولجان التنسيق والهيئة العامة للثورة والتجمعات الأخرى والتي قدمت رؤى سياسية لم تدافع عنها أو تعمل على تطويرها حسب الحالة والمستجدات على الأرض بل اكتفت بها ضمن بياناتها التأسيسية وتلاشت لاحقاً في سبيل بحثهم الدائم عن تمثيل سياسي مكون من رموز المعارضة التقليدية السورية أو تلك التي نشأت لاحقاً.وأصبح الضغط الشعبي منصباً على خلق الكيان السياسي المعارض الذي يعمل على إسقاط النظام ويكون البوصلة السياسية للثورة السورية،فكان أن نشأت هيئة التنسيق الوطنية التي ما لبثت أن أسقطت نفسها بيديها، ليس لأنها خرجت ببيان باهت بعد مؤتمرها الذي عقد "بضيعة حلوم" في ريف دمشق، بل لأن أدائها السياسي كان ولازال يخاطب الشارع بلغة المتعالي والوصي عليه وبلغة أخرى كان يتحدث عن جهل الشارع وعن حركة ثقافية لا يناسبها الأسلوب الذي يتعاطى فيه الشارع السوري مع الثورة فسقطت هيئة التنسيق الوطنية وأصبحت شعبياً حركة لا تشكل أي قيمة على مستوى الشارع الثوري السوري.وفي تشرين الأول من العام الماضي خرج على العلن ما عرف بالمجلس الوطني السوري الذي نصب نفسه وصياً على الشعب السوري والحاكم بأمر الله،ورغم من الأسلوب الديكتاتوري الذي أسس المجلس الوطني عليه إلا أن الشارع الثوري التف حوله ودعمه وأبدى تأييداً واسعاً للمجلس ورئيسه.واليوم وبعد مرور سبعة أشهر على تأسيس المجلس الوطني السوري يأتي التساؤل الأهم،

ماذا قدم المجلس للثورة السورية ؟ وهل كان يستحق التأييد الواسع الذي حظي به ؟ وهل هو فعلاً ممثل الشعب السوري ؟

تلك الأسئلة وإجاباتها كافية لإسقاط المجلس الوطني ولكن هذا لا يعني أبداً أن المجلس الوطني

لا يمكن البناء عليه ليكون فعلاً هو الحل ،ولكن كيف يمكن أن يكون المجلس الوطني السوري هو الحل

وسأبدأ هنا بسرد الأسئلة وإجاباتها حسب رؤيتي والنقاشات التي خضتها مع العديد من الأصدقاء حول الواقع السياسي السوري وأداء المجلس الوطني.

ماذا قدم المجلس الوطني للثورة السورية ؟

في الواقع لم يستطع المجلس الوطني أن يقدم شيئاً ملموساً للشعب السوري سوى سلة وعود لم يستطع تنفيذ شيئاً منها بدء بالحظر الجوي وطلب التدخل الخارجي والعسكري مروراً بقرار من مجلس الأمن لإدانة النظام أو تحويل ملفه إلى محكمة الجنايات الدولية في لاهاي أو حتى تقديم الدعم المالي واللوجستي للثورة السورية وحماية اللاجئين في المخيمات وغيرها الكثير.

ولم يستطع حتى تاريخ اليوم تقديم رؤية واقعية وعملية لإسقاط النظام أو خطة لمرحلة ما بعد النظام تكون جامعة لكل السوريين وتستطيع أن تكون أساساً للبناء عليه في جذب من تبقى من الشارع السوري سواء كان مؤيداً أو رمادياً أو صامتاً،بل اكتفى بدور المتلقي لمبادرات أممية ودولية مبتعداً كل البعد عن دور المبادر.

وما زاد الطين بله هو أن المجلس انخرط في مشاكل كتله الداخلية وانقسم بين تيارات ليبراليه وإسلامية ويسارية ساهمت ولا تزال في إضعاف عمله،وأخذ يجري خلف اعترافات دولية لم يحصل منها على شيء وذلك بسبب سلوكه وأدائه ومعرفة دول العالم أجمع أنه لا يوجد إجماع على هذا المجلس،ولا يزال حتى الآن يكابر أنه حصل على اعتراف ما يزيد عن ثمانين دولة ويستطيع أعضاؤه لقاء وزراء خارجية بعض تلك الدول مع أنه وفي الأعراف الدبلوماسية لا يعتبر ذلك اعترافا به على أنه الممثل الشرعي والوحيد للشعب السوري بل هو اعتراف به كطرف من أطراف المعارضة السورية،وتعامل المجلس مع باقي تيارات المعارضة على أنه ربهم الأعلى ومن أراد العمل معي فليعمل تحت مظلتي وشروطي، وبقي منقسماً على ذاته ومنغلقاً طوال الشهور السبعة من تاريخ تأسيسه على الرغم من محاولاته إظهار الانفتاح على الأخر وضم بعض الشخصيات من هنا وهناك في محاولات إصلاحية لا تذكرني سوى بإصلاحات نظام الأسد ذاته.ولا أذكر أن المجلس الوطني وحتى اليوم استطاع الذهاب لمؤتمر من مجموع ما دعي إليه وحصل على ما يريد سوى تلك الأموال التي تدفع من بعض البلدان لدعم المجلس.

هل كان يستحق التأييد الواسع الذي حظي به ؟

بكل تأكيد أن أداء المجلس الوطني أثبت أننا أخطئنا بتأييده منذ لحظات ولادته الأولى وكان من الأولى انتظار أن يبدأ عمله ونرى فاعليته ومدى خدمته للثورة والشعب السوريين قبل التأييد، ولكن الواقع يقول أن الشعب السوري كان يذبح كل يوم وكان بحاجة لأمل ولد بولادة المجلس الوطني، ولكننا مع الأسف تسرعنا بالدعم والتأييد وخلقنا لأنفسنا دكتاتورية أخرى وتسببنا بغرور المجلس الوطني وحولناه إلى أداة مشلولة لأنه حصل على ما يريد دون أن يقدم شيء.

وهذا الخطأ الذي لم نتعلمه منذ بداية الثورة التي قامت على إسقاط كل التابوهات والرموز مسبقة الصنع،واليوم بدأنا نشاهد هجوماً على المجلس الوطني ورئيسة ولكن بعد ضياع سبعة أشهر من عمر الثورة التي كان من الممكن أن تكون مثمرة أكثر وأن نحقق خلالها مكاسب أكثر وربما كنا اليوم لو كان أداؤنا صحيحاً وسليماً نحتفل اليوم في ظل سوريا الجديدة والمتحررة من ذلك النظام الذي حكمها قرابة الخمسين عاماً.

هل هو فعلاً ممثل الشعب السوري ؟

بالطبع الجواب لا فهو لم يستطع بأي شكل من الأشكال أن يكون ممثلاً لكل الشعب السوري بل كان ممثلاً لمؤيديه فقط ومؤيدي التيارات التي يقوم المجلس الوطني بتمثيلها والتي أيضاً ما

لبث أن انفك البعض عنه بعد مراجعة أدائه وآليات عمله.
والآن يأتي السؤال الأهم والأصعب ، هل يجب عينا إسقاط المجلس الوطني ؟
أيضا الجواب بكل بساطة هو...لا
فإسقاط المجلس الوطني يعني بدون أدنى شك توجيه ضربة قوية للثورة وإعطاء فسحة جديدة من الراحة للنظام السوري وضرب لجهود قادها الشباب على الأرض لمدة خمسة عشر شهر.
إذا ما هو الحل؟ ولماذا يجري الحديث دوماً عن فكرة حل على أساس توحيد المعارضة السورية وإعادة هيكلة المجلس الوطني وجعله هو الممثل العام والأساسي للشعب السوري المنتفض ضد النظام.؟
إن أي متابع للأحداث في سوريا وخصوصاً في الشهر الأخير يجد أن الوضع الثوري السوري بدأ يستنفذ وسائله خصوصاً العسكرية منها مع الأخذ بعين الاعتبار أن الوسائل المدنية لا تزال كثيرة وعديدة ويمكن إستغلالها بشكل كبير خلال الفترة القادمة.
ولكن لا يزال الشارع السوري بحاجة بكل تأكيد لممثل سياسي قادر على أن يكون بديل للنظام،ولكي نكون أكثر قرباً للواقع فلنأخذ بعين الاعتبار ما جرى من إضراب لتجار دمشق والذين كانو يوجهون رسالة أكثر من قوية ومباشرة للهياكل السياسية السورية بأننا قادرون على رفع الغطاء عن هذا النظام وإسقاطه في حال استطعتم تكوين جسم سياسي نثق به ويقدم رؤية سياسية وأمنيه واقتصادية لمراحل سوريا القادمة منذ الليلة الأولى لسقوط النظام وحتى انتهاء المرحلة الانتقالية مرورا وبلا شك بالآلية التي يجب أن تتم فيها عملية إسقاط النظام.
أي أننا نواجه اليوم معضلة متمثلة في إمكانية إسقاط النظام بالمجهود الذاتي بعيداً كل البعد عن التدخلات الأجنبية والخارجية.
ومن تابع تحركات أوروبا وأمريكا في اليوم التالي للإضراب والتي تمثلت في طرد سفراء الأسد يعرف تماماً أن ما جرى ما هو إلا تمهيداً لأحد أمرين،
إما تجهيز لانقلاب عسكري داخلي يطيح بآل الأسد وبعض معاونيهم ويبقي على النظام القائم وندخل لاحقاً في دوامة مصر التي أعادت أحمد شفيق إلى الواجهة بسبب تشتت المعارضة وعدم اتفاقها على مرشح واحد،فأخذ شفيق أصوات مؤيدي النظام والمنتفعين منه والمترددين والرماديين كاملة،وذهبت أصوات المعارضة وقسمت على 11 مرشح أخر،وهذا بالضبط ما كان يسعى إلية المجلس العسكري منذ لحظات تدخله الأولى في الثورة المصرية.
أو الأمر الأخر هو التدخل العسكري الذي قد يكون مستبعد ولكن إن حدث وأسقط النظام كما في ليبيا فإننا سندخل في دوامات أخرى متمثلة في حالات ميليشياوية وحالة تشرذم سياسي ،والدخول في أتون الفراغ السياسي فمن سيحكم ولماذا هذا التيار وليس ذاك، وسننتقل من ثورة ضد الأسد لحالة من التمردات الشعبية السورية وحرب ساحات يحاول فيها كل طرف فرض نفسه على الأخر وإثبات ثقله بعيداً كل البعد عن أي مظهر ديموقراطي أو حضاري،وستنتقل البلاد من حالة الدماء المنتشرة في الشوارع لحالة الجوع والبطالة وغيرها من الحالات الاجتماعية التي ستكون مدمرة للمجتمع وتركيبته تماماً كحالة التدمير المنهج التي يتبعها النظام الأسدي في سوريا هذه الأيام.
نحن الآن على أعتاب اجتماع للهيئة العامة للمجلس الوطني السوري والتي من المفترض أن يقر فيها المجلس الوطني برنامج
العملية إعادة الهيكلة ومن الواجب علينا كشارع سوري ونشطاء مهما اتفقنا أو اختلفنا مع هذا المجلس وشخوصه الضغط باتجاه إعادة الهيكلة وتوسيع المجلس وضم باقي أو أغلب فئات وتيارات المعارضة وإيجاد الآليات والسبل التي ستجعل المجلس الوطني بحلته الجديدة يعمل بالشكل الأفضل والأمثل.

ولم يعد مقبولاً أن يبقى طرفاً من الأطراف متحكماً في مصير السوريين وإلا فما فرقه عن نظام بشار الأسد الحاكم لسوريا في هذه الأيام.

إن عملية إعادة الهيكلة وتشكيل مجلس حكماء وهيئة شفافية ومراقبة لأداء وعمل المجلس الوطني أصبحا من الأساسيات والضروريات التي يتوجب علينا الضغط وبشده باتجاهها، كما يتوجب على باقي التيارات السياسية السورية والمجلس الوطني وضع كافة خلافاتهم جانباً ووضع مصلحة سوريا ودماء السوريين فوق كل اعتبار وكل مصلحة شخصية، والبحث في إيجاد شخصية سورية يمكن لها أن تكون بديلاً عن الأمين القطري لحزب البعث العربي الحاكم لسوريا لتكون واجهة سياسية تقود البلاد خلال فترة إسقاط النظام والفترة الانتقالية مع وضع آلية لمحاسبتها وعزلها في حال لم تكن على قدر من المسؤولية،نعم قد أكون رافضاً لفكرة الفرد الواحد والتابوه ومؤيداً لفكرة العمل الجماعي لكن الحالة السورية هي حالة فريدة من نوعها والواقع يفرض علينا أن نجمع على شخصية واحدة لتكون هي ممثلنا أمام من يسمى رئيساً لسوريا.

فبشار الأسد أعلنها أمس وبكل صراحة بأنه لن يتراجع بخياره الأمني والعسكري حتى تطهير البلاد من المندسين والإرهابيين والعابثين بأمن الوطن (أي بقاء الأسد في السلطة)، نحن اليوم في مرحلة مفصلية هامة أصبح لازماً علينا فيها آليات عمل واضحة وإستراتيجية محددة كي لا يحكمنا هذا النظام لعشرات السنين القادمة تحت مسمى الديموقراطية الانتخابية بمباركة دولية وإقليمية بحال وصلنا إلى انتخابات 2014 وهو لا يزال على رأس السلطة

فهذه المرحلة المفصلية تحدد إذا كنا فعلا على قدر تضحيات شهدائنا ونستحق شرف النضال بالثورة .لنرقى إلى مستوى آمال سوريا بنا

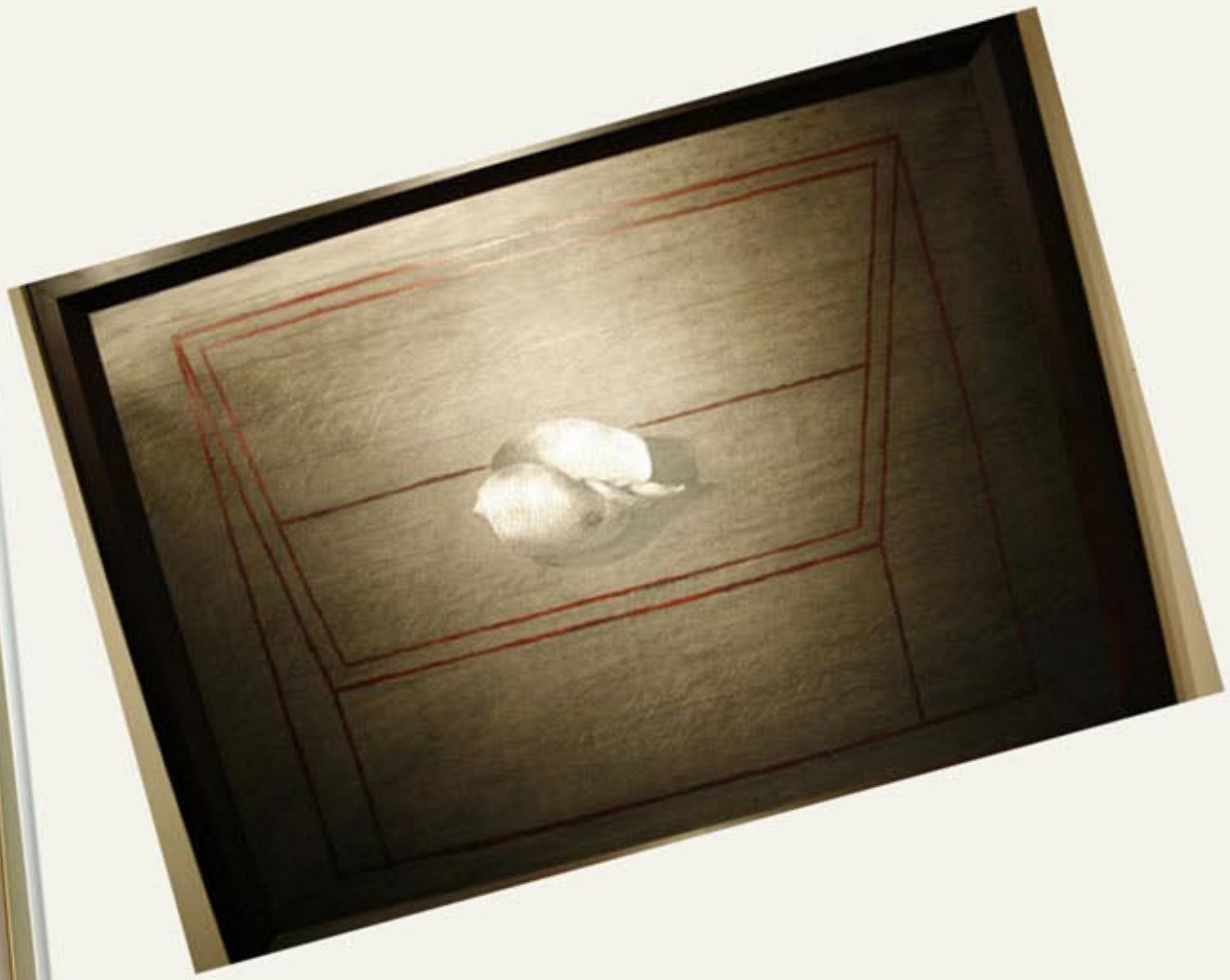

– من يفجر الحرب الطائفية في سوريا ؟	أمجد ناصر	19
– غواية الطائفية في سوريا والبلاد العربية	د. برهان غليون	22
– صناعة الشعب في مواجهة صناعة الطوائف	بكر صدقي	26
– مأزق لحاق الأقليات بالثورة السورية	راتب شعبو	28
– المخاوف من الحرب الأهلية	عزيز تبسي	30
– الطائفية كلعبة	فارس البحرة	32
– بخصوص الدم السني الواحد	ماهر الجنيدي	34
– سوريا والظاهرة الطائفية	نبراس شحيّد	36

من يفجّر الحرب الطائفية في سوريا؟

الطائفية في العالم العربي (بما هي من تعصّب وفتنة واحتراب)ليست مجرد فزّاعة يلوح بها بعض أنظمة الاستبداد لمقاومة رياح التغيير،ولكنها، في الوقت نفسه، ليست حقيقة خالدة وأبدية.

أمجد ناصر

قد يكون لبنان، المكوّن أساساً من طوائف، هو أول من اختبر الصراع الطائفي، وليس العراق، على ما يبدو، آخر بلد عربي تُنفخُ في كيره ريح الطائفية السوداء.

هل من مثال عربي ثالث؟

حتى الآن: كلا.

ولكن هناك من يرشح سوريا إلى مصير مماثل لما عرفه العراق بعد سقوط نظام صدام حسين.

السؤال الذي يُطرح والحال: ما هي حقيقة "المسألة الطائفية" في سوريا، وهل يقوم النظام هناك على أسس طائفية أمّنت بقاءه الطويل في الحكم؟

هذا هو موضوعي اليوم.

فقبل انطلاق الانتفاضة السورية الراهنة على نظام بشار الأسد لم يكن هناك، على مستوى الخطابات العلنية المتداولة، من يتحدث عن الطائفية في سوريا. قد يكون هناك "كلام" في الشارع السوري، أقرب إلى الهمس، عن "السيطرة العلوية" على الحكم ولكن من دون أن يتحول ذلك "الهمس" (الخطر بطبيعته) إلى خطاب سياسي معلن، أو حتى مضمر، لأي من القوى السياسية السورية بمن في ذلك، حسب معرفتي، "الإخوان المسلمون" الذين قد يغريهم خطاب سهل واستقطابي كهذا. لا معارضو النظام السوري كانوا يجهرون بخطاب طائفي ولا مؤيدوه، بطبيعة الحال، يفعلون. الكتابات شبه الوحيدة، التي تدأب على التذكير بـ"الأقلية العلوية" الحاكمة في سوريا سطّرها، عموماً، كتّاب أجانب. لكني لا أعرف كتابة سورية، ذات وزن، وصفت النظام السوري بـ"العلوي" رغم أن آخر ثلاثة رجال حكموا سوريا، مباشرة أو غير مباشرة، كانوا يتحدّرون من الطائفة العلوية وهم: صلاح جديد (رجل انقلاب عام 1966 القوي) والرئيسان حافظ الأسد وبشار الأسد، إلى جانب شخصيات أخرى نافذة في نظامي صلاح جديد والأسدين.

كان من الصعب وصف فترة حكم صلاح جديد ورفاقه الذين قادوا انقلاب عام 1966 ضد الرئيس البعثي أمين الحافظ بأي نعت طائفي، رغم أن شخصيات قوية في ذلك الانقلاب تتحدّر من الطائفة العلوية، فـ"عصبية" حكم صلاح جديد ورفاقه قامت، بقوة، على ما هو أيديولوجي وسياسي: القومية العربية التي راحت تقترب، أكثر فأكثر، من النظرية الماركسية.

القومية العربية بدت في ظل فترة حكم صلاح جديد – نور الدين الأتاسي أقوى من أي اعتبار آخر، وبناء النظام الاشتراكي والتصدي، في آن، للمشروع الصهيوني ظهرا على ما عداهما في خطابات ذلك العهد قصير الأجل. لكن ذلك لم يكن شأن حافظ الأسد الذي انقلب على رفاقه (جماعة صلاح جديد) لأسباب بدت، للمفارقة، أيديولوجية وسياسية أيضاً: كبح جماح التطرف اليساري لصلاح جديد وتياره وخفض نبرة العداء للغرب.

وبصرف النظر عما إذا كانت أسباب انقلاب حافظ الأسد على رفاقه أيديولوجية وسياسية فعلا أم شيئا آخر فالأمر، في حد ذاته، يدعو إلى التأمل. فعندما تنقلب على رفاقك لتلك الأسباب (كبح جماح التطرف اليساري، تليين الموقف من الغرب) لا بد من أن تؤسس "شرعة" أو "عصبية" جديدة. لا بدّ لشيء أن يحل محل شيء آخر. لم تكن تلك "الشرعة" التي جاء بها حافظ الأسد، في نهاية المطاف، سوى دفع "التطرف" الأيديولوجي إلى الوراء، وإعادة الاعتبار، جزئياً، للشرائح الاجتماعية التي تضررت من "السياسات الاشتراكية" الراديكالية التي انتهجها حكم صلاح جديد – نور الدين

الأتاسي.. والتأسيس لعبادة الفرد.

فالروابط القوية، التي سيعتمدها النظام الجديد، لن تقوم، تماماً، على ما هو أيديولوجي بل على ما هو ولائي، خصوصا في نظام تآمر على نظام سابق. الشخصي سيحل محل العام. الولائي سيحل، إلى حد كبير، محل التأدلج. وليس هناك أكثر أمناً لزعيم النظام الجديد (حافظ الأسد في هذه الحالة) من رابطة الولاء الشخصي والعائلي والقرابي.. وبالتالي الطائفي التي بدت، في أوضح صورها، في أواخر عهد الرئيس السوري الراحل.

غير أن ذلك لا يعني أن "طائفة" حلّت، مع إحكام حافظ الأسد قبضته على سوريا، محل "طائفة" أخرى، فقد قامت دولة البعث في سوريا على روابط يصعب التحلل منها مباشرة.

وفي هذا الإطار ينافح الباحث الأميركي ستفين هايدمان صاحب كتاب "التسلطية في سوريا: صراع المجتمع والدولة" (الصادر بترجمته العربية حديثا عن دار رياض الريس) عن أطروحة تقول إن "ابتلاع" المجتمع السوري من قبل الدولة بدأ مع انقلاب البعث عام 1963، وظلت البنى التي أقامها النظام الجديد في سوريا تعمل بكفاءة متراوحة، حتى رحيل حافظ الأسد وتسلم ابنه بشار رئاسة البلاد من بعده. فما هي هذه الأطر التي "أمّنت" لسوريا أطول فترة "استقرار" سياسي في تاريخها الحديث؟

يجيب هايدمان أن حزب البعث تبنى، بحماسة، سياسة "القبضة الحديدية" وعمم العنف برعاية الدولة والصراع الطبقي كجزء من إستراتيجية بناء الدولة التسلطية الشعبوية، وبالرغم من المستوى الذي بلغته الصراعات داخل حزب البعث بين عامي 1963 – 1970 فقد نجح البعث في ترسيخ نظام حكم أثبت قدرته على الاستمرار وحتى على التكيف النسبي.

أما البنى التي أحكم حزب البعث من خلالها قبضته على المجتمع السوري فتمثلت في "إعادة ترتيب شامل للحالة المؤسساتية القائمة، فأنشأ منظومة هائلة من المؤسسات الاجتماعية والسياسية ترمي إلى احتواء قطاعات واسعة من المجتمع السوري والسيطرة عليها في الوقت نفسه".

فالسوري تلتقطه تلك المؤسسات ما إن يدخل إلى المدرسة. فهناك اتحادات "طلائع البعث" و"شبيبة الثورة" واتحادات الطلاب والعمال والنقابات المهنية.. وكلها تابعة لحزب البعث. لكن هايدمان الذي يرى في الأطر الاجتماعية والسياسية والنقابية التي غطت كل أوجه الحياة العامة في سوريا سبباً في إدامة بقاء نظام البعث غفل عن دور المؤسسات الأمنية التي شهدت في فترة حكم حافظ الأسد المديدة تعدداً وتشعباً وتغولاً غير مسبوق.. وهذا ما سأعود إليه في مقال لاحق.

هياكل التأطير والتعبئة التي استحدثها نظام البعث لم تكن هي التي أمّنت أطول فترة "استقرار" سياسي في سوريا الحديثة بل التغوّل غير المسبوق، عربياً ودولياً، لأجهزة الأمن. ولرجل مهجوس بالتحديات التي تواجه حكمه داخلياً وخارجياً كحافظ الأسد لم تكن "الرابطة البعثية" موضع ثقة حقيقية له، بل الولاء الشخصي التام القائم على روابط عائلية وطائفية.

ليس من قبيل التجني على الواقع، ولا من قبيل النفخ في كير الطائفية البغيضة القول إن معظم قادة هذه الأجهزة وكوادرها، إضافة إلى نخبة القوات المسلحة، ينتمي إلى الطائفة العلوية. فهذه حقيقة شائعة لا يغير من أمرها أن تكون غالبية الوزراء، بمن فيهم رئيس الحكومة، يتوزعون على "الطيف" الطائفي والإثني السوري، وهو ليس طيفاً "موازيكياً" كما يردد بعض من يتناولون الوضع السوري. فسوريا ليست موزايكاً طائفياً على غرار لبنان أو حتى العراق، فهناك كتلة سكانية كبيرة تتجاوز الثلثين تنتمي إلى لون مذهبي وإثني واحد. لكن هذه الكتلة (السنة العرب) لم تعبر عن نفسها على هذا النحو قط.

فالطائفية، سياسياً، لا جذور لها قوية في سوريا. وعندما نشب الصراع عنيفاً بين النظام وجماعة الإخوان المسلمين في ثمانينيات القرن الماضي لم يتحول صراعاً طائفياً مكشوفاً رغم المجازر التي ارتكبها النظام في حماة وغيرها من المدن والبلدات السورية، فقد فشل تمرد تلك الجماعة، آنذاك، في قلب الكتلة السنية الكبيرة على النظام، ولم تتمكن دعاواها الدينية من إحداث شرخ طائفي كبير في النسيج الاجتماعي للبلاد.

ملف العدد

أنت طائفي

المدهش أن أول من تحدث عن الفتنة في سوريا، مع اندلاع الانتفاضة، كان النظام نفسه، بل رأس النظام تحديداً، ثم تلته أبواقه الرسمية وغير الرسمية. وها نحن الآن بعد ثمانية أشهر على الانتفاضة نجد أنفسنا أمام حديث متواتر، داخلياً وخارجياً، عن الفتنة الطائفية وأشباح الحرب الأهلية في سوريا.

فهل هذا التلويح بالحرب الأهلية، القائمة على اعتبارات طائفية، تهويل إعلامي أم حقيقة لا يجدي الأسف وحده لتداركها؟

يصعب القطع في ذلك.

فالنظام الذي يعبئ الطائفة العلوية والأقليات الدينية الأخرى، كما يردد كثير من نشطاء الانتفاضة، ويشحنها بالخوف على مصيرها لا بدّ أن يحدث أثراً على الأرض، وهذا ما يتضح من ضعف مشاركة "الطوائف" السورية الصغيرة في الجهد الانتفاضي ضد النظام.

وهنا ينبغي طمأنة عموم السوريين إلى أن الثورة، أجلها هي لجميع مواطن

غواية الطائفية في سورية والبلاد العربية

برهان غليون

بالرغم من المقاومة القوية التي أظهرتها الشعوب العربية لمشعلي الفتن الطائفية في السنوات الأخيرة، في العراق وغيره، إلا أن الضغوط المتزايدة التي تتعرض لها أطراف متعددة، رسمية واهلية، من الخارج والداخل معا، تدفع بشكل متسارع نحو جعل المخرج الطائفي حتمية لا تقاوم في العديد من أقطار العالم العربي. بل إن هناك من بدأ يتحدث بصراحة عن مخاوف انجرار المنطقة برمتها إلى نزاع طائفي لن تكون نتيجته سوى الدمار المعمم. وشيئا فشيئا يكاد الرأي العام العربي يستسلم في بعض الأقطار، بل في أكثرها، لفكرة قبول النزاعات الطائفية كما لو كانت عاهة ولادية مرتبطة ببنية المجتمعات العربية وثقافتها.

والواقع ليس لهذا الانجرار وراء المخرج الطائفي أي علاقة بوجود تعددية دينية أو حتى حساسيات وحزازات قديمة بين الطوائف المتواجدة منذ قرون طويلة على الأرض نفسها. فكما يمكن أن تقود التعددية إلى التعايش المثمر والمثري والمبدع، كما أظهرت ذلك قرون طويلة من الحكم العربي، ليس في اسبانيا وحدها ولكن في بلاد المشرق جميعها، يمكن أن تقود أيضا إلى النزاع وتشريع القتل المأساوي على الهوية. وبعكس ما يعتقد الكثيرون، ليس لهذا النزاع علاقة بطبيعة العقائد ومضمونها واختلافاتها وإنما بالظروف التي تشرط حياة الجماعات وتحدد علاقات واحدتها بالأخرى. فمن الممكن أن تكون العقائد متباينة تماما بين الأطراف ويكون التعايش كبيرا في ما بينها، كما أن من الممكن أن يولد النزاع بين جماعات تنتمي إلى الأصول ذاتها ولها منظومات عقائد وأعراف وتقاليد واحدة، كما تبرهن على ذلك الصراعات التي غالبا ما تندلع داخل القبائل والعشائر والطوائف، بل والعائلات نفسها.

وهكذا، عندما عززت حقبة الاستقلال الانخراط في العالم الحديث وخلقت آمالا كبيرة بالتقدم والارتقاء لدى الجميع، وفي جميع المجالات، ولدت حركة وطنية وقومية واسعة وحدت بين جميع الاطراف ودفعت إلى تجاوز الانقسامات التاريخية الطائفية والأقوامية والاندماج في كل وطني حديث واحد. وبالعكس، يغذي الانسداد والجمود الذين تقود إليهما نظم متحجرة ولا إنسانية، وما ينجم عنهما من حرمان الجميع من فرص التقدم والارتقاء، شعورا عميقا بالاحباط والخوف وانعدام الثقة يشجع الجماعات والأفراد معا على التحلل من قيم التضامن الإنسانية وعلى القبول بجميع الطرق والوسائل اللاأخلاقية للخروج مما يبدو وكأنه حالة حصار وموت محقق، بأي ثمن وعلى حساب الجماعات والأفراد الآخرين.

ومن هنا يشكل الخيار الطائفي، بالمعنى الديني والأقوامي معا، التعويض المباشر عن غياب الخيار السياسي، أي الجماعي الوطني. وطالما بدت شروط تحقيق هذا الخيار الأخير مفقودة أو مستحيلة التوليف، تنزع الجماعات إلى الحلول الانفرادية لعلها تجد لنفسها مخرجا لا أمل بايجاده مع الغير. فالطائفية هي رديف إعدام السياسة، والقضاء على روح التواصل والألفة، وتمجيد الوصولية والانتهازية والقائمتين على الأنانية، وانهيار مفهوم القانون، بما يعنيه من احترام الحق والعدل أمام استئثار العصبية العمياء التي تقوم على مبدأ نصرة الأخ ظالما أو مظلوما. وهذه الشروط هي ما تشهده العديد من الاوضاع العربية، حيث تشعر جميع الاطراف بأنها في بداية نفق مظلم طويل لا تعرف إذا كانت ستخرج منه أم لا.

وأول من يبدو عليه الضعف أمام إغواء الطائفية هي تلك النخب التي تحكم منذ عقود طويلة من دون مشاركة ولا قيود ولا التزامات واضحة، والتي تواجه اليوم استحقاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية كبيرة من دون أن يكون

انتبه طائفية

ملف العدد

بالرغم من المقاومة القوية التي أظهرتها الشعوب العربية لمشعلي الفتن الطائفية في السنوات الأخيرة، في العراق وغيره، إلا أن الضغوط المتزايدة التي تتعرض لها أطراف متعددة، رسمية واهلية، من الخارج والداخل معا، تدفع بشكل متسارع نحو جعل المخرج الطائفي حتمية لا تقاوم في العديد من أقطار العالم العربي. بل إن هناك من بدأ يتحدث بصراحة عن مخاوف انجرار المنطقة برمتها إلى نزاع طائفي لن تكون نتيجته سوى الدمار المعمم. وشيئا فشيئا يكاد الرأي العام العربي يستسلم في بعض الأقطار، بل في أكثرها، لفكرة قبول النزاعات الطائفية كما لو كانت عاهة ولادية مرتبطة ببنية المجتمعات العربية وثقافتها.

والواقع ليس لهذا الانجرار وراء المخرج الطائفي أي علاقة بوجود تعددية دينية أو حتى حساسيات وحزازات قديمة بين الطوائف المتواجدة منذ قرون طويلة على الأرض نفسها. فكما يمكن أن تقود التعددية إلى التعايش المثمر والمثري والمبدع، كما أظهرت ذلك قرون طويلة من الحكم العربي، ليس في اسبانيا وحدها ولكن في بلاد المشرق جميعها، يمكن أن تقود أيضا إلى النزاع وتشريع القتل المأساوي على الهوية. وبعكس ما يعتقد الكثيرون، ليس لهذا النزاع علاقة بطبيعة العقائد ومضمونها واختلافاتها وإنما بالظروف التي تشرط حياة الجماعات وتحدد علاقات واحدتها بالأخرى. فمن الممكن أن تكون العقائد متباينة تماما بين الأطراف ويكون التعايش كبيرا في ما بينها، كما أن من الممكن أن يولد النزاع بين جماعات تنتمي إلى الأصول ذاتها ولها منظومات عقائد وأعراف وتقاليد واحدة، كما تبرهن على ذلك الصراعات التي غالبا ما تندلع داخل القبائل والعشائر والطوائف، بل والعائلات نفسها.

وهكذا، عندما عززت حقبة الاستقلال الانخراط في العالم الحديث وخلقت آمالا كبيرة بالتقدم والارتقاء لدى الجميع، وفي جميع المجالات، ولدت حركة وطنية وقومية واسعة وحدت بين جميع الاطراف ودفعت إلى تجاوز الانقسامات التاريخية الطائفية والأقوامية والاندماج في كل وطني حديث واحد. وبالعكس، يغذي الانسداد والجمود الذين تقود إليهما نظم متحجرة ولا إنسانية، وما ينجم عنهما من حرمان الجميع من فرص التقدم والارتقاء، شعورا عميقا بالاحباط والخوف وانعدام الثقة يشجع الجماعات والأفراد معا على التحلل من قيم التضامن الإنسانية وعلى القبول بجميع الطرق والوسائل اللاأخلاقية للخروج مما يبدو وكأنه حالة حصار وموت محقق، بأي ثمن وعلى حساب الجماعات والأفراد الآخرين.

ومن هنا يشكل الخيار الطائفي، بالمعنى الديني والأقوامي معا، التعويض المباشر عن غياب الخيار السياسي، أي الجماعي الوطني. وطالما بدت شروط تحقيق هذا الخيار الأخير مفقودة أو مستحيلة التوليف، تنزع الجماعات إلى الحلول الانفرادية لعلها تجد لنفسها مخرجا لا أمل بايجاده مع الغير. فالطائفية هي رديف إعدام السياسة، والقضاء على روح التواصل والألفة، وتمجيد الوصولية والانتهازية والقائمتين على الأنانية، وانهيار مفهوم القانون، بما يعنيه من احترام الحق والعدل أمام استئثار العصبية العمياء التي تقوم على مبدأ نصرة الأخ ظالما أو مظلوما. وهذه الشروط هي ما تشهده العديد من الاوضاع العربية، حيث تشعر جميع الاطراف بأنها في بداية نفق مظلم طويل لا تعرف إذا كانت ستخرج منه أم لا.

وأول من يبدو عليه الضعف أمام إغواء الطائفية هي تلك النخب التي تحكم منذ عقود طويلة من دون مشاركة ولا قيود ولا التزامات واضحة، والتي تواجه اليوم استحقاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية كبيرة من دون أن يكون لديها أي فرصة لتلبيتها او الرد عليها، في الوقت الذي تخضع فيه لضغوط وتحديات خارجية استثنائية تهدد استقرارها وبقاءها نفسه. فهي محاصرة من الداخل والخارج وخائفة من السقوط والانهيار في أي لحظة. ولهذا يزداد الإغراء عند بعض قادتها بالهرب نحو التعبئة الطائفية، كدرع حماية، ووسيلة للعب على تناقضات المجتمعات، واستخدام فئاتها المختلفة وانقساماتها لدفعها إلى تحييد بعضها بعضا. فبقدر ما تسد هي نفسها باب الخيار السياسي، أي، اليوم، الديمقراطي، للخروج من الأزمة الوطنية الشاملة، وتدرك محدودة وسائل القمع التقليدي، تنزع هذه الجماعات المتسلطة إلى أن ترى في التعبئة الطائفية سلاحا مفيدا لخلط الاوراق من جديد، وإجهاض المجتمع من قواه

الاحتجاجية النامية، لعلها تتمكن من الالتفاف على الاستحقاق التاريخي والخروج من الطريق المسدود الذي وضعت نفسها فيه.

لكن النخب الحاكمة أو بعضها ليست الطرف الوحيد الذي يمكن أن يجد في إحياء المنطق الطائفي مهربا إلى الأمام من مشاكله السياسية المستعصية على الحل. إن الضغط الذي تتعرض له قطاعات واسعة من المعارضة السياسية والمدنية في سبيل حرمانها من أي أمل في المشاركة في مصير وطنها بل في التعبير عن نفسها والتواصل مع الرأي العام بأي صورة من الصور، مهما كانت سلمية ومدنية، يهدد بأن يدفع بعض قواها الأكثر استعجالا والأقل حكمة إلى التفكير باستخدام الطائفية لفك عزلتها. وربما اعتقد قسم من أولئك الذين يجدون أنفسهم محاصرين بين ضغوط الحياة اليومية المتزايدة ومراوغات السلطة وقهرها اللاإنساني واللاقانوني، أن بناء عصبية قوية تقف في مواجهة عصبية السلطة هو الطريق الوحيد المتبقية لفرض نفسه على النظام وانتزاع الاعتراف به من دون التعلق بالتدخلات الأجنبية. وحصل مثل هذا في الثمانينات من القرن الماضي وانتهى بكارثة إنسانية في حماة وبكارثة سياسية في سورية بأكملها.

بيد أن المجتمعات نفسها ليست محصنة ضد الاستخدامات الطائفية أيضا. وتدغدغ الطائفية مشاعر العديد من قطاعات الرأي العام التي تعيش في شروط حياة هشة وغير مستقرة وتكاد أن تنهار بين حصار النظم الحاكمة التي تخشى انفجارها فتفرض عليها حكما مطلقا يشلها عن التفكير والحركة، وحصار الرأي العام الدولي الذي يوحد بينها والارهاب ولا يكف عن استفزازها ووضع هوية مجتمعاتها الثقافية والدينية موضع الشك والسؤال. كما تشكل الظروف الصعبة التي تعيشها أغلبية السكان والضغوطات المستمرة التي تتعرض لها، وغياب أفق الحلول الجماعية والسياسية، أي الوطنية، تربة خصبة لنمو المشاعر السلبية عند الأفراد والجماعات، وتوجهها نحو الخيارات التصفوية التي تجعل كل منها تعتقد أنه لا حل لأزماتها المستفحلة والمديدة إلا بالتخلص من الآخر، بتحييده او إقصائه أو القضاء عليه والسطو على حقوقه وموارده. فالحرب الطائفية هي شكل من أشكال حروب التصفية والتطهير العرقية. ونحن مهددون بالانجراف أكثر فاكثر نحو حالة الاحتراب التي تميز المجتمعات الفقيرة والمعزولة والمحاصرة. فندرة الموارد وتصاعد الضغوط وغياب الأمل بالوصول إلى نهاية النفق بالطرق الطبيعية وفي وقت معقول، كل ذلك يشكل مصادر متضافرة قوية لتوليد المنازعات الدموية في كل المجتمعات والأزمان. وبقدر ما يصبح القتال أسلوب الانتاج الرئيسي للثروة والسلطة والجاه تبرز الحاجة إلى بناء العصبية، أي روح الطائفية التي تتغذي من أوهام القربى الدينية أو القبلية أو الثقافية، وتصبح بمثابة اللحمة التي تصهر الأفراد والمجموعات المتميزة في بوتقة واحدة. فلا تقوم الطائفية إلا بعنصرين: بعث الوهم بالمطابقة الكاملة أو التماهي بين أفراد مختلفين بالفعل والأصل رغم انتماءاتهم الدينية او القبلية، بحيث يذوب الفرد بالجماعة ولا يعيش إلا بها، ثم تأكيد الحق في العدوان باسم الدفاع عن الحقوق الجماعية للعصبية الواحدة في مواجهة العصبيات الأخرى. ولذلك مثلما لا تولد العصبية من دون النزاع أو خارج سياقه، لا يمكن للحرب الطائفية أن تندلع وتستمر إلا بقدر ما تنجح في إعادة صهر المجتمع في بوتقة العصبية، أي في إعادة خلقه كعصبيات متماثلة. وما منع هذه الحرب من الانتشار حتى الآن في بلدان كالعراق وسورية بالمقارنة مع لبنان، هو رفض المجتمع بأغلبيته المدنية الانخراط في سياسة العصبية هذه وسعيه إلى استيعاب النزاعات الطائفية من داخل المفاهيم والأطر السياسية. لكن هنا تكمن المشكلة بالضبط. فمع القضاء على مفاهيم السياسة المدنية وأطرها أو تفريغهما من معناهما، وتحت ضغط التدهور المتسارع للأوضاع المعيشية والسياسية والنفسية الراهن، أصبحت هذه المقاومة مهددة بالفعل.

والحال لا تشكل الحرب الطائفية، التي يصعب على أحد اليوم السيطرة عليها إذا اندلعت، مخرجا من أي مأزق قائم، لا مأزق الحكم ولا مازق المعارضة ولا مأزق المجتمع والرأي العام التائه والمتخبط. بالعكس، إنها تعمق ورطة الجميع وكل الأطراف. فهي لن تحرر النخب الحاكمة من مواجهة الاستحقاقات القادمة ولا توفر عليها الاعتراف بحقوق هذه المجتمعات والتزاماتها تجاهها، ومن باب أولى أن تمكنها من استعادة السيطرة عليها. كما أنها لن تعطي للمعارضة أي دفع جديد يساعدها على التغلب على الحصار المضروب من حولها. أما بالنسبة للمجتمع، فهي تقود حتما إلى الدمار

انتفاضة

ملف العدد

العام بقدر ما تهدد وجود الدولة وتبدد موارد البلاد وتعريضها للتهديدات الخارجية. إن المستفيد الوحيد منها هي بالتحديد اسرائيل وشبكات المصالح المافيوزية نفسها التي قادت إلى إفلاس الدولة والسلطة، والتي لا تستطيع أن تنمو وتزدهر وتتحول إلى زعامات تاريخية إلا في مناخ الحروب والأزمات. وأصحابها الذين يحتقرون بالتعريف فكرة وجود التزامات جماعية وقيم تضامن إنسانية وحقوق سياسية وحريات فكرية ويفتقرون إلى أي شعور بالمسؤولية هم المعنيون الوحيدون بتغذيتها وتفجيرها.

صناعة الشعب في مواجهة صناعة الطوائف

بكر صدقي

تتطلب الطائفية ما هو أكثر من الوجود الخام للطوائف. تصنع الطائفية بفعل فاعل لأغراض سياسية. من مصلحة النظم الاستبدادية تقسيم المجتمعات التي تحكمها شاقولياً وفق ما هو متوفر من مواد أولية: أديان ولغات وطوائف وروابط دم وغيرها. هكذا تقطع الطريق على احتمالات توحدها أفقياً في مواجهتها. ثورة الشعب على الاستبداد هي فرصة لهذه الوحدة، بل هي إمكان صناعة شعب.

ليس الشعب معطىً بديهياً، بل هو يصنع بالإرادة. هذان مساران متعارضان: أعني مسار صناعة الطوائف ومسار صناعة الشعب. يقف الاستبداد فوق الطوائف ويمعن في تطييفها ليمنع انبثاق الشعب، في حين أن وحدة الشعب تنبذ الاستبداد تعريفاً وتسعى إلى التخلص منه.

في سوريا غالبية سكانية من المسلمين السنة العرب، وجماعات أصغر حجماً من المسيحيين والعلويين والشيعة والاسماعيليين والدروز والكرد والسريان والشركس والتركمان والشيشان والأرمن وغيرها من الجماعات المتنوعة ثقافياً. لم تشهد البلاد احتكاكات طائفية على مدى تاريخ الكيان السوري الحديث. في أواخر السبعينات دشن ابراهيم اليوسف أول مجزرة طائفية في هذا التاريخ. تفيدنا الرواية المتداولة أن الضابط المذكور استفرد بطلاب الضباط من أصل علوي وقام بقتلهم في مدرسة المدفعية بحلب. ما زالت هذه المجزرة يكتنف تفاصيلها الغموض إلى اليوم. لا نملك رواية موثوقة لما حدث أو عدد القتلى أو الدافع وراء تلك الجريمة البشعة. رسمياً تم اتهام الإخوان المسلمين الذين ينكرون مسؤوليتهم عنها ويلقون بمسؤولية التمرد المسلح في الثمانينات على تنظيم الطليعة المقاتلة الذي انشق عنهم.

مهما يكن من حقيقة تلك المجزرة، فقد شكلت شرارة بدء حرب دموية شنها نظام حافظ أسد على الشعب السوري في عدد من المدن، دامت سنتين وانتهت بالقضاء التام على جماعة الإخوان المسلمين، وعلى كل المعارضة السياسية وعلى المجتمع. منذ العام 1982 وصاعداً دخلت البلاد في نفق معتم عناوينه الرئيسية دولة إرهاب بوليسي وفساد وفقر وعبادة الفرد وموت السياسة والاجتماع والثقافة جميعاً.

نخمّن أن الدكتاتور العجوز ازداد انغلاقاً على نفسه منذ ذلك الوقت، وتفاقم شعوره بفقدان الشرعية. فبعدما انقلب على حزب البعث الحاكم منذ 1963، ففقد الشرعية الثورية المنبثقة من نظام 8 آذار البعثي، أحس في أزمة 1980 – 1982 بالأرض تميد من تحته حين أدرك أنه غير قادر على حجب انتمائه الأقلوي الذي طالما أقض مضجعه. أضف إلى ذلك منبته الريفي المتواضع الذي سيعوّضه بالسطوة العسكرية، من غير أن يحظى بشرعية الطبقات العليا التقليدية من إقطاعيين ووجهاء مدن.

تفيدنا هذه اللوحة في تفسير اعتماد الدكتاتور المتصاعد على الرابطة الطائفية الموثوقة في توطيد أركان سلطته الاستبدادية. أفترض أن حافظ أسد كان الشخص الأكثر يقيناً بعدم استحقاقه حكم سوريا، فقط لأنه ليس من الأكثرية السنية. وفي الوقت الذي تقبلت البورجوازية السنية وجوده في سدة الحكم بلا أي عقد طائفية، كان هو يتشكك في شرعيته من منطلق وعيه الأقلوي. نلمس بعض دلائل هذا "الوعي الشقي" في أدائه فريضة الحج (وسيحذو حذوه كل من شقيقه رفعت وابنه البكر باسل) وإطلاقه لورشة كبيرة لبناء الجوامع في طول البلاد وعرضها (من الجيب السعودي) وإلغائه لأي خصوصية مذهبية أو ثقافية للطائفة العلوية في الفضاء الاجتماعي العام، فلم تنتشر اللهجة العلوية في الثقافة والإعلام بصورة واسعة واستفزازية إلا في عهد الأسد الابن الذي اتسم بجشع الفساد ووقاحة الغلبة العصبية (في

انسحاب طائفية

ملف العدد

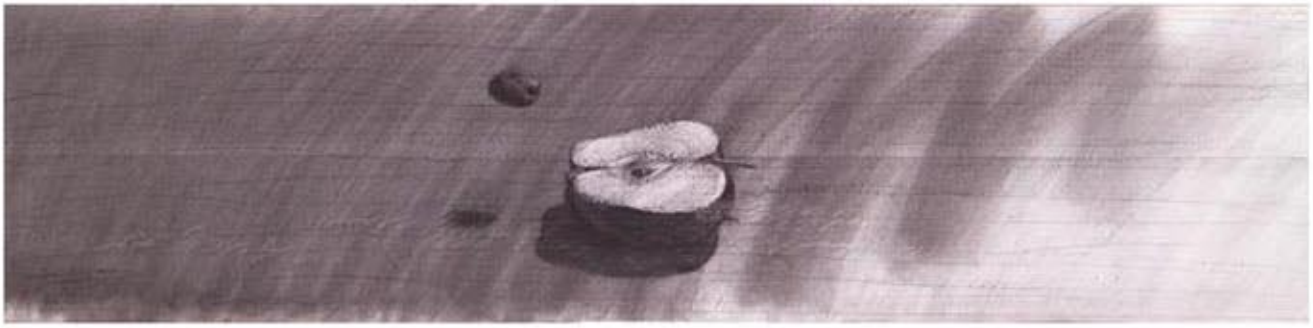

حين بدت أفلام عبد اللطيف عبد الحميد الأولى نشازاً في المشهد الثقافي السوري في عهد حافظ، بل إنها كانت نوعاً من التمرد على الكبت)

هذا الوعي الشقي بالانتماء الأقلوي وفقدان الشرعية هو ما سيدفع حافظ أسد إلى مزيد من تشديد القبضة الأمنية ومزيد من علونة الأجهزة الأمنية التي اعتمد عليها في استدامة حكمه. وأبقى الدكتاتور الراحل على جرح الثمانينات مفتوحاً ولم يبادر إلى طي تلك الصفحة السوداء، مدفوعاً بالهواجس الأقلوية ذاتها. هنا نجد التعريف الأنقى للطائفي: هو من يرى إلى العالم من منظاره الطائفي، ولا يرى حوله غير طوائف أخرى معادية ومشحونة بالكراهية ضد طائفته بالذات. هذا ينطبق على الجماعات الأقلية المسكونة بالخوف من الأكثرية، مع أنه هناك أقليات أخرى لا تكابد هذه الهواجس إما بسبب اندماجها الوطني أو لأنها لا تكابد مشاعر ذنب ناجمة عن التورط في ارتكابات طائفية ضد الجماعات الأخرى.

استخدم الأسد الأب مجزرة مدرسة المدفعية وحرب الثمانينات بصورة عامة لتغذية النوازع الطائفية الأقلية لدى العلويين. ومع ديمومة حكم العائلة الأسدية تحول الشعور بالمظلومية التاريخية تدريجياً إلى شعور بالامتياز والوجاهة، بصورة خاصة في عهد بشار الأسد. سطع نجم علي الديك وامتلأت الشاشة الصغيرة بنماذج ورموز ثقافية لطائفة الرئيس، الأمر الذي تَوَجَهُ مشهد المطرب المشهور جورج وسوف وهو يركع أمام رامي مخلوف ليقبل قدميه. بموازاة ذلك شاعت ثقافة الترفع لدى العلوي النمطي في نظرته إلى السني "المتخلف المتعصب"كما لو أننا أمام انقلاب في الأدوار الاجتماعية: العلوي الهامشي في الجرود البعيدة الذي طالما شعر بالإذلال "الحضاري" أمام ابن المدينة "السني المتحضر"، أصبح سيد البلاد ومعيار "تحضرها" في مواجهة "السني المتخلف" الملتحي والسنية المتخلفة المحجبة..

منذ انطلاق ثورة الحرية والكرامة من مدينة درعا، عمل النظام بكل ما يملك من مخزون تجاربه في سوريا ولبنان لإشعال فتنة طائفية تحرف مسار الثورة في الوجهة التي تخدم انتصاره وديمومته. فشلت محاولاته المفضوحة في اللاذقية وحمص. لكنه حقق نجاحاً في تحييد الطائفة العلوية أولاً وفي توريط قسم كبير منها في حربه الدموية على الشعب ثانياً. ورطهم أكثر وأكثر في قطيعة تامة مع سائر الجسم الوطني. وها هو يتوج جهوده هذه بارتكاب المجازر الطائفية المروعة في بابا عمرو وكرم الزيتون والحولة والقبير ومعرة النعمان وغيرها، على أمل استدراج ردود فعل مقابلة.

لا شي يضمن عدم انزلاق البلاد إلى حرب طائفية مدمرة. وكلما طال أمد الصراع كلما ازدادت فرص هذه الحرب، خاصة وأن سوريا قد تحولت إلى ساحة مكشوفة للصراع السني – الشيعي الممتد من إيران إلى لبنان والعراق ودول الخليج وتركيا.

الخلاصة: ليست لدينا في سوريا مشكلة طائفية، بل "مشكلة علوية" شرط نجاحنا في حلها هو إسقاط النظام وبناء دولة ديموقراطية تعددية مدنية تستوعب الغنى الثقافي للمجتمع السوري.

مأزق لحاق الأقليات بالثورة السورية

رائب شعبو

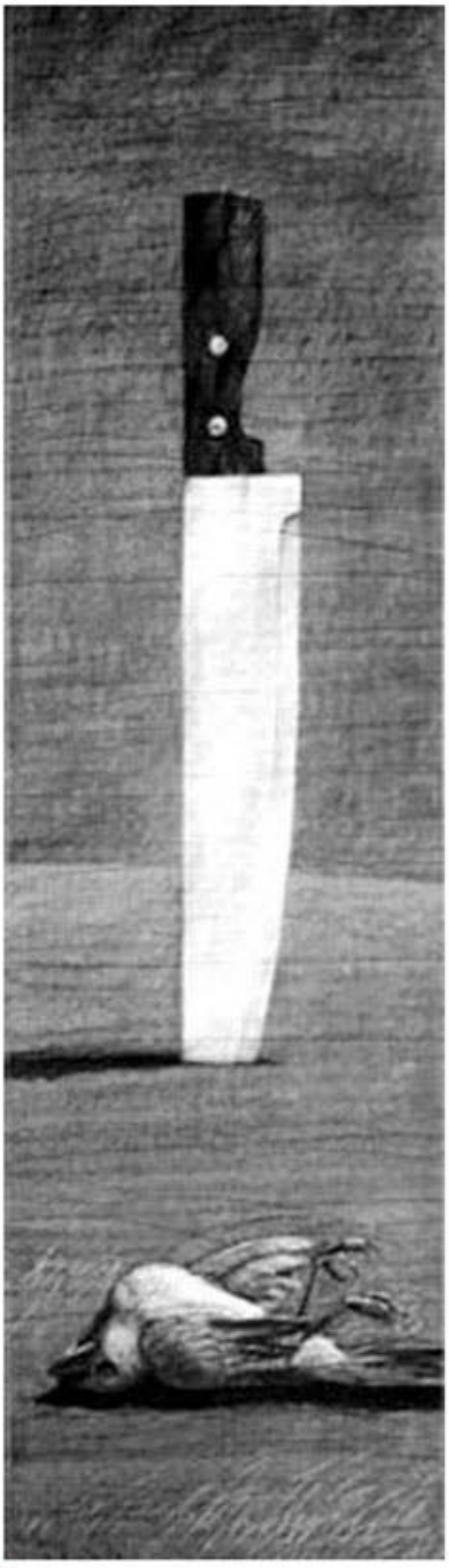

من أسوأ ما يمكن أن يبتلى به بلد يضم طوائف ومذاهب وأعراق متعددة مثل سوريا، هو أن يتوضع فيه نظام ديكتاتوري ويتكرس على خطوط انقسام طائفية أو عرقية. ويكون ذلك حين يكون شخص الديكتاتور والممسكون بمفاصل القوة الأمنية والعسكرية في البلد، في غالبيتهم، من أبناء أقلية عرقية أو دينية أو مذهبية بما يغذي لدى أبناء هذه الأقلية انطباع (وهمي طبعاً) بالسيطرة والحظوة ويغذي لدى الأكثرية شعوراً بالغبن (والحق أن الغبن واقع على محكومي الديكتاتورية من أقليات وأكثرية). في هذه الحال يسهل انزلاق العمل التغييري الذي يستهدف النظام إلى مزالق جانبية تمتص قوة التغيير وتجعل بالتالي عملية التغيير في النظام السياسي للبلد معقدة وباهظة التكلفة، إن على صعيد الخسائر البشرية والمادية أو على صعيد الأهمية السياسية للبلد ودوره ومستقبله وربما كيانه. ويلفت النظر أن حزب البعث كرس في البلدين اللذين وصل فيهما إلى الحكم (سوريا والعراق) ديكتاتوريين من الأقليات المذهبية هنا وهناك. والحقيقة أن هذا التراكب بين الديكتاتوري والطائفي في كلا البلدين كان مطباً مرشحاً لكسر ظهر البلد بشكل يغري بالقول إن الديكتاتور الذي ينتمي بمولده إلى أقلية في مجتمعه أشد خطراً ومأساوية في مآلاته على البلد من الديكتاتور ذي الانتماء الأكثري، وفي كليهما خطر ومأساة.

في العراق احتاج إسقاط النظام إلى تدخل عسكري خارجي واحتلال حطم بنية الدولة وأعاد صياغتها وفق تقسيم طائفي وعرقي صريح. وفي سورية تُدفع الثورة، بفعل البطش الوحشي للنظام وسياسته الأمنية كما بفعل طبيعة القوى الإقليمية "الداعمة" للثورة، إلى مسالك عنيفة وطائفية تهدد مضمون الثورة نفسه المتمثل بفكرة المواطنة والديموقراطية.

الأقليات الدينية والثورة السورية

حين نتكلم عن جماعات مذهبية أو دينية فإننا نقصد هنا الجانب السياسي الاجتماعي وليس الديني إلا بقدر ما يشكل الرابط الديني خلفية ثقافية عامة وبعيدة لتعرف الناس على أنفسهم وتعرف الآخرين عليهم بصفتهم أبناء مذهب معين. من البدهي أن الفرد لا يختار دينه أو مذهبه كما أن معظم الناس لا يفقهون في الشؤون الدينية لمذاهبهم إلا ما يحمله وعيهم من ثقافة مسموعة وطقوسية في سياق حياتهم اليومية. ولهذا يبدو الصراع المذهبي، كشكل مشوه عن الصراع السياسي، صراعاً عبثياً وأخرقاً ومجافياً لأبسط قواعد العقل السليم. غير أن الصراعات السياسية كثيراً ما تختار سبلاً لاعقلانية.

لا يصعب على المراقب ملاحظة الموقف الحذر للأقليات ولاسيما العلويون من

انتباه طائفية

ملف العدد

حركة الاحتجاجات التي اندلعت في سوريا منذ آذار 2011، ولا يتناقض هذا الموقف (الحَذِر أو المعادي) مع وجود عدد كبير من المعارضين التاريخيين للنظام في صفوف العلويين، كما ليس عصياً على التفسير وقوف كثير من معارضي النظام السابقين في صف النظام اليوم ضد هذه الثورة. فهؤلاء يعارضون النظام ويعملون على تغييره على أن يكون التغيير بمبادرة يشاركون فيها وبعملية يملكون درجة من السيطرة عليها، ولكن حين بدأ الحراك من خارج دائرتهم وبعيداً عن سيطرتهم فقد تحرضت في أعماقهم مخاوف تميز أبناء الأقليات ومبعثها عدم الثقة بالآخر ولاسيما حين ظهرت علامات شكلية توحي بطابع إسلامي للحراك (مثل الخروج من الجوامع، والتكبير، وتبني الحراك من جانب بعض المشايخ ... الخ)، مخاوف راحت تلبس، بوعي أو بلا وعي منهم، أثواب العداء لأمريكا والعداء للإسلاميين والأصولية وما إلى ذلك. وإذا كان بروز العنف والميل الإسلامي في الثورة السورية قد عزز من مخاوف أبناء الأقليات المذهبية فإن خوف هؤلاء وإحجامهم عن المشاركة عزز بدوره من إسلامية الحراك وغذاه ببعد طائفي عاد ليغذي تلك المخاوف من جديد. لذلك كان واضحاً منذ البداية أن الأقليات لا تسير باتجاه الاندماج بالثورة، وإنها ستقف مدافعة عن النظام أو على الحياد في أحسن حال، إلى أن تميل كفة الصراع، عندئذ قد يسارعون للحاق بالثورة (وهو احتمال ضئيل) وقد يبقون على حالة الراضخين بالقوة لجهة يحملون لها كل الانطباعات والظنون السيئة (وهو الاحتمال الأرجح).

ومهما يكن من أمر فإن الجماعات لا تلام على خوفها وإحجامها، ولا يعالج الخوف بالكبت أو الزجر أو الذم، على ما يفعل بعض "مثقفي" المعارضة. الخوف يصيب الجماعات كالأوبئة، فالمرض يعدي لكن الصحة لا تعدي. وعلى مدى الشهور الطويلة من عمر الثورة لم يتحطم جدار الغربة بين الأقليات والمعارضين (المسلحين منهم بوجه خاص)، وارتسمت في أذهان أبناء الأقليات صورة نمطية شريرة للمعارض المسلح تتمثل برفضه العنيف للآخر الديني وميله الشديد للقتل الشنيع (الذبح) وتنكيله بالجثث وعدم تمثيله لخيار سياسي ما خلا الانتقام والدعوة إلى الحكم الإسلامي. حتى بات من المتواتر في أوساط من العلويين مثلاً الحديث عن سعي الأسر لاقتناء السلاح ليس بغرض المواجهة بل بغرض الانتحار الفردي أو الجماعي (العائلي) حين يكون الوقوع في أيدي هؤلاء المسلحين أمراً لا مفر منه. وقد لعب إعلام النظام دوراً مهماً في رسم هذه الصورة (استناداً إلى أفعال قامت بها بعض مجموعات المعارضة المسلحة كان أهمها مجزرة جسر الشغور بحق عناصر فرع الأمن العسكري هناك، واستفادة من تقارير صحفية أجنبية ومن تقارير لمنظمات حقوق إنسان عالمية) صورة لم ينجح الإعلام المعارض، رغم ما يتوفر له من منابر، في تبديدها.

ونلاحظ مروراً أن العنف الرهيب الذي يمارسه النظام والذي تتحدث عنه التقارير الصحفية العالمية ومنظمات حقوق الإنسان وتعرضه وكالات الأنباء العالمية، والذي يتجاوز بكثير حدود القمع الديكتاتوري المعيارية، لم يشكل جدار غربة للأقليات هذه عن النظام، لا بل تجد الكثيرين منهم يطالب بالمزيد من العنف للتخلص من "المسلحين والإرهابيين" حتى لو سقط جراء ذلك من يسقط من الأهالي، فيما يسمونه الحسم. وبذلك يسجل المجتمع السوري تأخره عن الوفاء بشروط المجتمع وتسجل سوريا بالتالي تأخرها عن كونها تمثل وطناً. ومرة أخرى لا يقع اللوم في هذا الواقع المر على أحد بالتحديد، لكنه يلقي مسؤولية كبيرة على الجميع إذا كان لسوريا أن تستمر كوطن لجميع أبنائها.

وللحق لم يكن للأقليات، ككتل بشرية، موقف إيجابي من الثورة في أي لحظة من لحظاتها. وليس صحيحاً أن الأقليات ابتعدت عن الثورة حين دخل السلاح والعنف والإسلاميون على الخط. لقد كان للتشويه الإعلامي الذي مارسه إعلام النظام مشفوعاً بتخلخل نزاهة الإعلام المؤيد للثورة دوراً في دعم مخاوف أبناء الأقليات وتغذيتها وصدهم عن الثورة. ما نفّر الأقليات هو اندلاع الحركة من حاضنات سنية متدينة (درعا وبانياس) وبروز وجه إسلامي للحركة ولاسيما حين كان من المطالب الأولى للمتظاهرين في بانياس إعادة المنقبات إلى التدريس.

في المحصلة، لا تتيح السياسة لنا رفاهية التسوق بين خيارات سياسية معروضة في فاترينا. السياسة صراع وآفاق، ومهما علق في الثورة من عوالق تشذ بها عن صورة الثورة المرسومة في الأذهان والكراسات، فإن انتصار الثورة السورية يفتح آفاقاً يمكن أن تنهض بسورية إلى مستوى حياة سياسية قد تنتج بحق وطناً ومواطنين، ولا يتاح فيها لأحد أن يطوب البلد باسمه ويكرس نفسه حاكماً أبدياً لسوريا.

في انتظار وترقب ما صار حياة يومية لعموم السوريين المخاوف من الحرب الأهلية!!

عزيز تبسي

إعتاد مرافقوا السائقين في الحافلات،النداء التذكيري للركاب المتعبين والشاردين بضرورة الإستعاد للنزول لمن هم قاصدين المحطة الوسيطة وعادة ما تكون حماة–حمص في الرحلة الطويلة التي لم تنتهي بعد من حلب إلى دمشق،وما إن تأخذ الركاب سنة من وسن حتى يأتيهم صراخ المرافق الحاسم "الحمد لله على السلامة"وصلنا ياشباب!!

ويظهر بلا ريبة كراج حرستا المكتظ بالمسافرين اللاهثين بحمولات حقائبهم وتفقدات ذويهم الموزعين على الأرصفة العالية،أمام الحافلات التي توشك على الإنطلاق إلى أربعة أطراف البلاد.

لم تكن الحرب الأهلية يوماً في نسق خيارات الحركات الثورية والإنتفاضات الشعبية،الحرب الأهلية هي منتوج نهائي وحاسم لإستعصاء مشروع الطبقة الحاكمة،أو للفئة المهيمنة منها وهي تواجه ميدانياً حركة ثورية متصاعدة بمطالب راكمها تفلت الطغمة الحاكمة الدائم عن تلبية الإقتراحات التي ترصدها الحركة السياسية والناشطون المستقلون،وتعجز عن التوصل معها إلى حلول توقفها في منتصف الطريق،بما يمكن تسميته في مجاز سياسي"الإصلاح"،يبدأ بتجريف للسماكات الأكثر تعفناً من الطبقة الحاكمة وتقليص إمتيازاتها،وإعادة الإعتبار للمنسيات الديموقراطية يدخل إليها من باب حرية الرأي وحق التعبير عنه في حزب وصحيفة،وتأكيد حق الإعتراض من خلال الإجتماع والتظاهر،وحق تمكين منظمات الدفاع الذاتي كالنقابات..والتوكيد على الحقوق المجانية التي لاتقبل المساومة التعليم والصحة.....

وتظهر على الدوام مقاومات الطغم الحاكمة كمقاومات دفاعية مضموناً تتمظهر في أشكال هجومية.حيث ماعاد بحيازتها شيئاً ذا قيمة حقيقية تمنعه عن الشعب ،ولاشيئاً ذا قيمة حقيقية تمنحه إياه،سوى ومن باب الهزل قوانين مرورية جديدة يكفي تطبيقها لإيقاف الحركة المروية في البلادأو دفع كل مايجنيه السائقون بإرهاق من مال إلى دوريات المرور المتربصة بهم وبسياراتهم،وأنظمة فريدة لنظافة الشوارع وجدرانها،والإشارة إلى الآمان من حين لآخر لتذكير هذا الشعب أنه لايعيش في غابة،ولا يفسر هذا إلا بكونه لم يبقى من الضواري من بات يحافظ على أنيابه أو يملكها،بل منحة من ملك الغابة الذي يخبئ الكواسر في أقفاصه ويهدد بفتح رتاجاتها متى يشاء.

وحتى لانكون من المحولين للإلتزام بنسق محدد يمكن إعتباره "نموذجاً للحروب الأهلية،كالحرب الأهلية الفرنسية /الحرب الأهلية الأمريكية/ الإسبانية/اليونانية/اللبنانية/الجزائرية/الأفغانية/اليوغوسلافية....الخ وهذه كلها تجارب غير نهائية–نموذجية– في الحروب الأهلية،أي أن كل تجربة لها خصائصها المحلية وشروطها التاريخية.

من هنا يمكن إعتبار أن من ينتظر وقوع الحرب الأهلية في سوريا يقرأها في منظار النموذج،وهو عن حق في غياب النموذج "الحقيقي"،تتأسس القراءة على نموذج إفتراضي.فالذي يحصل في سوريا اليوم والذي تتوضح مقدماته منذ18 آذار2011 هو الشكل السوري من الحرب الأهلية،التي تأخذ شكل عدوان حربي على إنتفاضة شعبية سلمية لتركيعها وتقويضها.....أما عن الأسئلة المشككة بالواقعة من مثل: عدم تمكنها من التوسع /ومشاركة كل الشعب بها/فهذا مايمكن رده على تفاوت التطور في البنية الإجتماعية للمجتمع السوري وإنعكاسه على البنية الثورية للإنتفاضة.

حرب غير متكافئة بكل المقاييس(عسكرياً–سياسياً–إعلامياً....)،كمعظم الحروب الأهلية وغير الأهلية،حيث كل إمكانات الجيش والأجهزة القمعية تحت حيازة الطغمة الحاكمة،يتفلت منها البعض القليل ويهرع لاهثاًإلى تشكيل مقاومة شعبية دفاعية بأغلبها مما بات يعرف بالجيش السوري الحر،المحدود الإمكانات العسكرية والإستخباراتية،وتكمن قوته الوحيدة من ثلاثة عناصر:

1)بداية تفكك الأجهزة الفاشية الحربية....

انتباه طائفية

ملف العدد

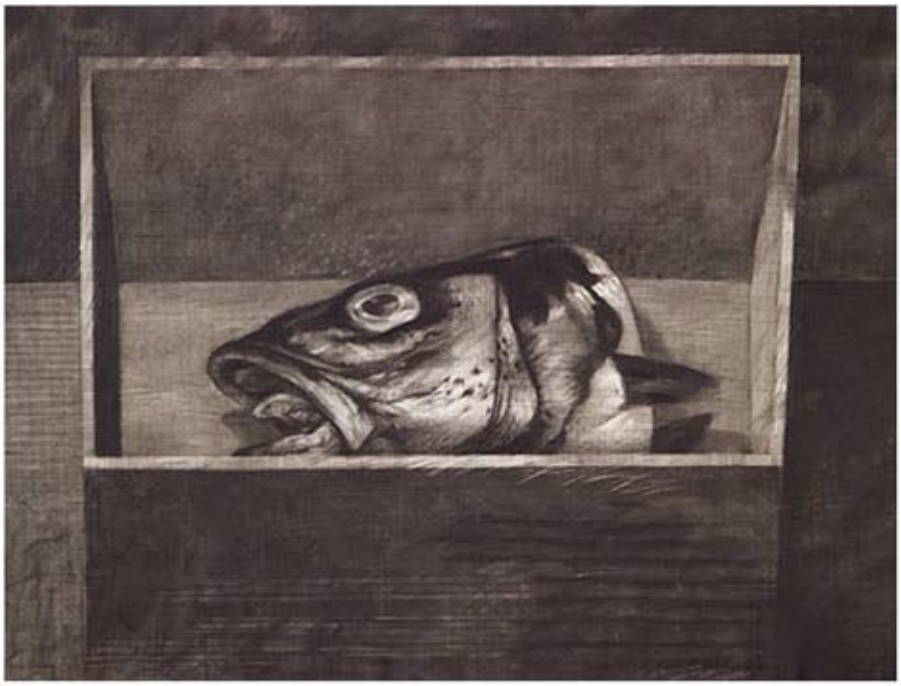

وللحرب الأهلية في سوريا مقدماتها وأدواتها ومساراتها.أساسها التكويني:عجز الطغمة العسكرية كتعبير عن رأسمالية طفيلية إحتكارية عن الإصلاح في أي درجة منخفضة من درجاته/إنتصار الخيارات الأكثر رجعية وطائفية وفاشية داخلها/عززها غياب الردع الدولي كتعبير عن الميول الرأسمالية العالمية في الإلتفات للسيطرة على أزماتها الإقتصادية وتداعياتهاالتي قد تكون ثورية/والدور التدخلي الرادع من الكيان الصهيوني،الذي يتنعم بإمتيازات العيش الآمن منذ أربعة عقود/الدعم المفتوح من الفاشية الإيرانية والإسناد الحقوقي والسياسي الروسي في المنظمات الدولية/إرتياب الأنظمة العربية من توسع الإنتفاضة وتجذر مقولاتها.....لكن من شروط الحرب،توفر قوتين مستعدتين للإحتراب،وهذا غير متوفر بالمعنى النموذجي الذي أشرت إليه،لذلك تأخذ الحرب الأهلية في سوريا ،شكل عدوان حربي-عسكري-أمني على جمهور الإنتفاضة ووسطها الإجتماعي....

ولايمكن أن نغرق فيما لايمكن الغرق به،وهو تقديم نصائح وتحذيرات للشعب السوري(كنصائح أطباء القلب بالإقلاع عن التدخين....)بسلسلة من النواهي والتي غالباً ماتتوجه إلى جمهور الإنتفاضة،والتي تشكل بمجموعها حزمة من الهذيانات التربوية الآمرة،حيث يكفي الأخذ كي نتجنب الحرب الأهلية ونتائجها الكارثية،ما ينبغي معاينته هو الشروط التي تحكم الإنتفاضة وحركيتها..... ما من إنتفاضة شعبية في التاريخ تسعى لتوفير حوافز الحرب الأهلية،السلطات الحاكمة هي من يعمل على إرباك الفعل الثوري ومحاصرته بالحرائق والدم ،ويشكل هذا كله أساس مقاومتها للتغيير الثوري المطلوب.

إن كان الحديث عن حرب أهلية،فهذا بعض ما أريد قوله،وإن كان الحديث عن تحولها إلى حرب طائفية،فهذا رهن بمساراتها الخاصة وبتحول الجغرافيا السورية إلى حقل صراع إقليمي،وإنزلاق الأدوات النضالية للإنتفاضة في لحظة اليأس التاريخي الأسود إلى تبني الخيار الفاشي الطائفي المضاد،وتوفير المستلزمات الحربية لهذا الخيار،من تسليح وذخيرة ووسائل إتصال وإمداد.....الخ

نحن في الحرب الأهلية ياشباب!!

ولم يكن هذه المرة صوت مرافق سائق الحافلة،بل أصوات أكثر من ثلاثة عشر ألف شهيد وأنين أكثر من ثمانين ألف جريح ومصاب وخمسون ألف معتقل منهم عدد كبير من الضائعة أخبارهم،وأكثر من مليون مهجر داخل البلاد ومائتا ألف من المهجرين على خارج البلاد،ومدن وبلدات وقرى سوية بالأرض.

الطائفية كلعبة

فارس البحرة

ما زلنا نتواطأ مع النظام في التكتم على اللعبة الطائفية التي يمارسها، إلى أن جاء اليوم الذي بات الكلام عنها و رصد سماتها و تجسيدها على الورق أمراً واجباً، نظراً لمحاولة النظام السافرة لاستغلالها لتفريق بعضنا عن بعض بشكل إجرامي. تقوم هذه اللعبة على إيجاد نوع من التوازنات الطائفية في توزيع المناصب و المغانم و الحصص المختلفة توزيعاً صامتاً، تنتظر من يشير إليه صراحة تهمة الطائفية. إذ درج النظام على أن يسلك سلوكاً طائفياً يحميه بتوجيه التهمة بالطائفية إلى من يقوم بتوصيفه لفظياً. و تنطلي اللعبة هذه حتى على كثير من المعارضين الذين يفضلون السكوت عنها، على اعتبار أن الدخول في التفاصيل الطائفية أمر محرج لا تحمد عقباه. فبلغت ثقة النظام بنجاعة فصله القول عن الفعل و إيمانه باستحالة الاستعراض العلني للمعنى الكامن وراء هذه المفارقة أن قام _و هو المعروف برقابته المشددة على كل وسائل الإعلام المحلية و ما تطاله يده من العربية و الأجنبية_ بتشريع طرحها درامياً مراراً و تكراراً في الأعمال التلفزيونية التي ازدهرت في فترة حكم بشار الأسد كأحد المتنفسات المحدودة للشعب السوري. و هكذا يظهر ممثل بدور ضابط يتكلم باللهجة المعروفة بالعلوية ليوحي بالسلطوية، فإذا أراد مشاهد إخبار صديق بما شاهده على الهاتف لم تسعفه الكلمات، فيقول: ...ثم جاء ضابط يتحدث لهجة أهل الساحل. مع أن الجميع يعلم أن المقصود بالضابط أنه علوي، و أن المشهد يستحضر بشكل خفي اللعبة الطائفية للنظام. في الأمر ربما محاولة لتطبيع هذه اللعبة في ذهن المواطن، و التأكيد على أن المفارقة بين القول و الفعل بديهية يستحيل على القول إدراكها، و ربما لا تستحق أكثر من ابتسامة.

دأب النظام على توريط الطائفة العلوية في لعبة السلطة. المناصب العليا في الجيش و المخابرات تكاد تكون حكراً لأبنائها. و النظام الذي يتظاهر بإيجاد توازن بين الطوائف المختلفة، ينقل في الحقيقة فهمه لحجم الأدوار و السلطات الممنوحة لكل من الأقليات و للأكثرية. بطريقة تمعن في تحجيم الأكثرية، و تكرس لديها وعياً طائفياً بذاتها، من حيث هي محايثة للطائفة السنية.

و إن كان هذا التمثيل مرفوضاً، شأنه شأن أي تمثيل آخر لا يعتمد المواطنة و الكفاءة الفردية مرجعاً، فلم يجر في يوم من الأيام تمثيل طائفي يراعي التوازنات العددية. ما جرى هو تعويد المجتمع السوري على محاباة الطائفة العلوية خصوصاً، و الأقليات عموماً، مثلما قد يجري ضمن الأسرة تعويد الأبناء على محاباة واحد منهم أو بعضهم، و تفضيل الذكور عن الإناث، أو العكس، بطريقة تنتمي إلى البديهيات التي لا تناقش.

مع أنه من المحتمل كإمكانية بالمطلق أن يؤدي التداول اللفظي للمسألة الطائفية إلى اصطفاف طائفي و إلى فهم المجتمع من حيث هو مجموعة طوائف، فإن التفكيك الواعي و الحذر للسلوك الطائفي للنظام هو الضمانة لعبور الخطر المرتبط بالاستمرار بالتساكت على هذه المركبات من جهة، أو بطرحها للتناول بطريقة تفرق أكثر مما توحد من الجهة الأخرى.

ماذا يمكن أن ننتظر من طرح المسألة الطائفية؟

أتوقع أن ننظر إلى أي تغير ثوري ضمن المجتمع من منطلق المستقبل قبل الماضي. فما يراد ليس إجراء تسوية بين الطوائف المختلفة، بل تجاوز الانتماء الطائفي، نحو الانتماء الوطني السوري و العربي، و الانتماء الانساني. فما الانتماء الطائفي كما لا يخفى على أي ذي عقل إلا بالعائق دون الانتماءات الأوسع. لكن التساكت عن المسألة الطائفية، أمر شديد الخطورة كون النظام يحاول تقسيم السوريين على أساسها، عبر تخويف الطائفة العلوية و سحب هذا الخوف على

ملف العدد

انتبه طائفية

هذه الشريحة المدللة و المستفيدة هي بدورها ليست مطابقة للطائفة العلوية. فالزعم بأن الطائفة العلوية أو حتى أغلبيتها قد استفادت من النظام مجانب للصحة. لكن الحالة الجمعية التي كرسها النظام، و التي تعتبر الطائفة العلوية وفقاً لها طائفة ذات امتيازات خاصة، أمر ليس من السهل العبور فوقه، ومن قبل أبناء الطائفة العلوية قبل غيرهم على ما يبدو، فلا بد لذلك من نقاشه علناً و بشكل واسع.

رغم وجود الكثير من أبناء الطائفة العلوية و بناتها ممن أعلنوا انتماءهم و نصرتهم للثورة بشكل ثابت لا لبس فيه منذ بداية الحراك الجماهيري، شاع بين المثقفين و المثقفات المنحدرين من أصول علوية رهاب ذو سمتين أساستين: الخوف من الحراك الجماهيري، واعتباره مشبوهاً بالمعنى الوطني، ولن يؤدي إلا إلى قيام إمارات أو خلافة إسلامية. و السمة الثانية هي رفض أصحاب هذه الرؤى أن يعتبروا مخاوفهم مرتبطة سببياً بكونهم ينتمون إلى الطائفة العلوية بصورة خاصة أو إلى أحد الأقليات الأخرى في سوريا، و اعتبار الإشارة إلى ذلك تشكيكاً بوطنيتهم، و علمانيتهم، أو إشارة واضحة إلى نكوص محدثهم إلى الروابط الطائفية في فهمه لهويته و هوية الآخرين.

لا تحدد علاقتنا بهويتنا بما نقرره نحن فحسب، هناك ارتباطات للهوية تتجاوز قراراتنا العقلية الفردية الواعية، و تتعلق بدائرة معارفنا و أقاربنا الذين نشترك معهم بالأفراح و الأحزان، بالمخاوف و الآمال. كذلك فللنظرة الجمعية للفرد في إطار الهوية الطائفية أو الإثنية، و ما يرتبط مع ذلك من توقعات، أثر كبير في مجتمعنا، إذ بدل أن يعمل نظام البعث الذي يدعي العلمانية على تفكيك دواعي هذه النظرة، تقصّد تكريسها للسيطرة على الفرد من خلال الانتماءات الجمعية التقليدية.

نعلم جميعاً أن الشبيحة يقتلون المتظاهرين إستناداً إلى قيام النظام بتعبئتهم طائفياً و تجهيزهم لمثل هذه اللحظة. إن يك ثمة سلفيون مسلحون ذوو أثر في الشارع السوري اليوم، فهم الشبيحة.

أعتقد أن اتهام الحراك الشعبي السوري بالطائفية، إنما هو نوع من إسقاط صورة النظام على الحراك، و من التوقع بأن الرد على النظام الذي يجيش الطائفة العلوية ضد المتظاهربن سيكون من النوع نفسه. الخوف ألا يميز ضحايا النظام بين شخوص النظام و بين العلويين. فيعتبرون كل من هو علوي مسؤولاً لا عن خراب سوريا أكثر من أربعين عاماً فحسب، بل قبل كل شيء عن مجازر الثمانينيات، و النسخة المحدثة منها في درعا و حمص و بانياس و ريف دمشق....

مزيج من الخوف من الآخر و الشعور بالذنب تجاهه، يخلخل أي إمكانية للتفكير المنطقي، هو ما أتلمسه في نقاشاتي مع كثير من أصدقائي و صديقاتي العلويين. صديق لا أشك يوماً بنقاء ضميره اعتبر أطفال درعا (مدسوسين) من قبل أهلهم ليكتبوا ما كتبوه على الجدران دون أن يتعرضوا للعقوبة، كما حين يرسل الأهل قاصراً في جرائم الشرف. و حينما سألته: حتى لو كان الأمر كذلك هل تكون عقوبتهم بالسجن و التعذيب؟ لم يعرف بم يجيب، كأنه يريد بأي ثمن إحالة السبب الأساسي في قتل المتظاهرين إلى المتظاهرين أنفسهم. صديق آخر، قال لي: لا: أنت تتكلم بالطوائف؟ ما عدت أعرفك!. صديقة اعتبرتني أقول بصفة جوهرانية حول السوري العلوي. أكثر من صديق و صديقة رفضوا مواصلة النقاش. صديق اعتبر حماسي للثورة من الوارد تبريره بعنف عائلي تعرضت له في طفولتي!

و أنا أناقش أصدقائي، و أنا أكتب الآن، أشعر بثقل على ساعديّ، بضيق في صدري، بارتباك نادراً ما عرفته. كأنني أدخل مكاناً سرياً لا تلجه عادة سوى مشاعر الخوف و الريبة بالآخر و الشك بمشروعية الوجود الذاتي حتى.

لست متشائماً. لن يكون مصير الطائفة العلوية كمصير اليهود، رغم أن ممارسات النظام تنافس ممارسات الكيان الصهيوني على عرش الإجرام. إلا أن الشعب السوري سيعرف جيداً أن يميز عدوه.فلما كانت الثورة ضد هذا النظام و آلياته و سلوكه المعلن و عقليته الخبيثة المضمرة، فأول ما ستكونه الثورة: ضد الطائفية التي شوهّت الاجتماع السوري.

الانتماء إلى الطائفة سواء كان مختاراً من الفرد أو مفروضاً من الجماعة يبقى مجرد جزء من الهوية و الوعي بالذات، أتوقع من الثورة أن تبعث الوعي الوطني، الوعي السوري، و الوعي العربي. ما يجمع أبناء سوريا مع بعضهم أكثر مما يفرقهم، و هذه المرحلة رغم وعورتها ،هي مفتاح الوحدة الوطنية الحقيقية، لحظة طرح الأسئلة الكبرى التي اعتدنا الهروب منها، لحظة مناقشة البديهيات.

كلي إيمان بشعبي، ثقتي بأن الثورة لن تكون على النظام فحسب، بل على أنفسنا أيضاً، التي ليس خضوعها المديد لهكذا نظام إلا دليلاً على حاجتها لثورة.

بخصوص الدم السنيّ الواحد

ماهر الجنبدي

رفعت إحدى الفضائيات شعاراً على زاوية شاشتها يقول: "الدم السنّي واحد". ما أثار لغطاً واسعاً بين صفوف بعض السوريين، فمنهم من ابتسم ابتسامة صفراء واعتبرها "كشفاً لجوهر الثورة التي تدّعون"، ومنهم من وجد ضالته ليبرر إحجامه عن اتّخاذ موقف صلب، ومنهم من قال إن المنادين بهذا الشعار هم "الوجه الآخر للسلطة إن لم يكونوا حلفاءها".

غنيّ عن القول إن هذه الفضائية الرديئة لاتحظى لدى السوريين بنسبة مشاهدة توازي النسب التي تحظى بها أي من الفضائيات الأخرى التي تواكب الحدث السوري، وأن هذه النسبة لا تعني أن مشاهدي هذه القناة يتبنّون أصلاً طروحاتها. خصوصاً إذا علمنا، من خلال استجابات الناس لطروحاتها وردودهم عليها، أن معظم المتفاعلين مع القناة هم من أولئك الذين يتربّصون لثغرة هنا أو هناك، فيضخّمونها كي "يدينوا هذه الثورة من فمها".

بيد أن التركيز على انتقاد هذه القناة، أو مثل هذه الشعارات الغبيّة، يتخذ أشكالاً عديدة: فهو محض "فوبيا" لا أكثر لدى البعض، وهو أيضاً حجّة للبعض الآخر كي يبرروا صمتهم وترددهم المسكون طائفياً، فيما يستحيل لدى البعض الثالث (من ذوي النوايا الحسنة) بالوناً حرارياً يلاحقونه بدلاً من التوجّه إلى الهدف الحقيقي.

إن تصوير السلطات للأمور على أنها فتنة طائفية، لا يقتضي اللهاث وراء دحض روايتها، بل المشاركة في الحراك على امتداد الطيف السوري المتنوع ومنحه الوجه الحقيقي المعبّر عنه، بما هو تمرّد وطني ديمقراطي على منظومة كاملة صنعها الاستبداد وهو الذي يحميها، ومن ثم بناء البديل السياسي الأخلاقي التاريخي المنشود.

يذكر جميعنا كيف فعل أبناء "داريا" المحافظون مع ذلك الشاب المسيحي الذي كان يرفع على استحياء يافطة تدين الدستور الجديد الذي يحظر كرسيّ الرئاسة عن النساء وعلى المسيحيين، فبادروا إلى إمساك اللافتة ورفعها عالياً، وكانت موضع ترحيب الباقين الذين تناقلوها.

لا شك أن شعار "الدم السنّي" مسيء، من حيث أنه يمثّل خطراً على مسار سورية ما بعد سقوط الاستبداد، أما اعتباره وأمثاله من الشعارات الهدف الأساس الذي ينبغي التصويب نحوه، سعياً إلى "إبراز وجه سورية الجديد، سورية المدنية التعددية الديمقراطية"، فهو أمر يتغاضى عن أن هذا الوجه لم يبرز بعد، ومازال في طوره الجنيني الأول، وأن التخلص من الاستبداد هو الشرط اللازم لإتاحة فرصة استكمال تشكّل جنين كامل.

ولكي نضع نقاطاً تشريحية واضحة على الحروف الغامضة، فإن شعار "الشعب السوري واحد" رفعه المتظاهرون الخارجون من مساجد سنّية طوال أكثر من عام، استجداء لإظهار لحُمة ما في مقارعة الاستبداد. لقد شارك أفراد أشاوس في هذه المظاهرات، لا دينيّون أو ينتمون إلى أديان وطوائف أخرى، إلا أن مواقف "الطائفة" التي ينتمون لها هي التي أرخت بظلالها على مواقفهم الشجاعة. وللغرابة، فإن ثمّة استثناءين من هذا. ألا وهما موقفا السنّة والاسماعيليين. ففي حين لم يتسنّ للسنة، لحسن الطالع، اتخاذ موقف "طائفي" مؤيد للثورة، لم تتمكّن الطائفة الاسماعيلية أيضاً من التوحّد، لحسن الطالع أيضاً، من اتخاذ موقف "طائفي" معاد للثورة. حيث نهض أبناء الطائفة الاسماعيلية بدور مشهود، لم يدعوا مجالاً بعده لظهور موقف ما للطائفة، بل امتلكوا هم زمام المبادرة في التأكيد على أن الشعب السوري واحد، وكذلك في تعرية زيف شعار "الدم السني واحد"، وكشف خوائه.

شباب الطوائف الأخرى لم ينجزوا عموماً ما أنجزه أبناء السلَميّة، فبرز بالتالي ما يشبه موقفاً جمعياً مناوئاً للثورة لم

انشطائفية

يتمكّنوا من تفكيكه لأسباب عديدة تستحق الدراسة، والاستقصاء عنها ربما في التاريخين القديم والبعيد، وربما في الجغرافيا، بل وربمّا في الباطنيّة ذاتها.

لا شك أن الطائفية بغيضة بكل تجلياتها. وإذا مضيت قُدُماً أقول إنها نتاج بدهي لعرقلة بناء الدولة الحديثة (هل تسنّى لنا بناؤها حقاً؟)، والنحو نحو دولة الاستبداد التي اتخذت من طائفة أو أكثر أداة لها، وجعلت الطائفية ناراً تضطرم تحت رماد "الوحدة الوطنية" المتفسّخ.

بل أمضي إلى أبعد من ذلك، فأزعم أن شعار "واحد واحد الشعب السوري واحد" كان من باب الآمال التي تعكس حساً عفوياً لدى الشعب، والأماني الطيّبة بأن لا تكون الطائفية، بما هي نتاج للاستبداد، قد فتكت إلى غير عودة بحسّ المواطنة لدى الطوائف، هذا الحس الذي قبره أصلاً الاستبداد.

أخشى ما يخشاه المرء هو اشتراط الشروط للمساهمة في التغيير. إذ أن وضوح الهدف الوحيد الأوحد، والتركيز عليه وعليه فقط، هو ما سيرمي بالشعارات الرديئة في الأماكن التي تستحق.

خلاصة القول: في سوريّة بالفعل منظومتان، منظومة السلطة الآفلة ومنظومة الثورة الناهضة. وإنّ ظهور موقف جمعي جامع لإحدى الطوائف إلى جانب أي من هاتين المنظومتين مسألة خطرة تفرض على أبنائها خصوصاً القيام بمهمات جسيمة وتحمّل أعباء إضافية والعثور على حلول مبتكرة، هذا إذا أرادوا فعلاً أن يثبتوا أن الدم السوري واحد. ولنا في مدينة السلميّة وفي جامعة حلب أسوة حسنة.

سوريا والظاهرة الطائفية

نبراس شحيّد

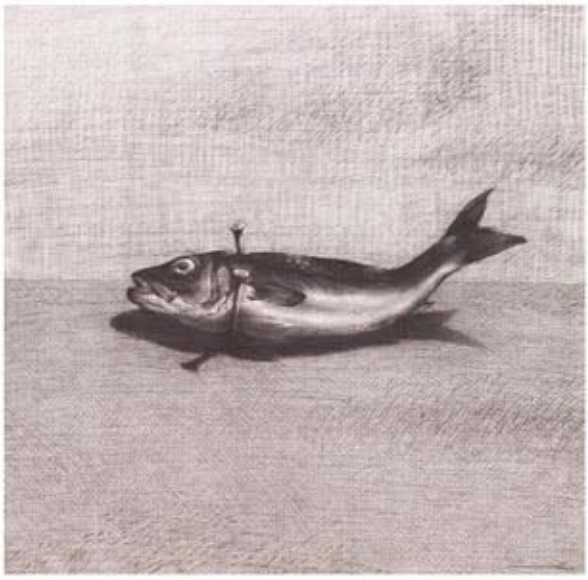

يكثر الكلام في الأيام هذه على الطائفية في سوريا، فيختلط الواقع بالشائعات، ليتحدث بعضهم، على سبيل المثال، عن عمليات "تطهير طائفي" طالت 90 في المئة من مسيحيي حمص (وكالة فيديس الفاتيكانية 12/3/2012)! من المؤكد أن المبالغة هنا فاضحة، لكنها، على الرغم من ذلك، لا تستطيع أن تنفي تصاعد الظاهرة الطائفية في بعض المناطق. ففي حمص مثلاً، طُردت مجموعةٌ من "الثوار" أشخاصاً من بيوتهم، الأسبوع الفائت، مستفيدةً من انتمائهم الطائفي، ليتم الاستيلاء عليها. كما شهدت القصير، الأسبوع نفسه، أعمال خطف من الروح ذاتها. لا تقتصر الطائفية هنا على بعض الأعمال الفردية التي قام بها فلان وعلتان، بل تتسلّل الحال، شيئاً فشيئاً، إلى اللغة والثقافة، ليوصَف بعض "الثوار" "الشبّيحةَ" استناداً إلى طائفتهم، لا إلى أعمالهم! في المقابل، دفعت المماهاة هذه بين الدين والسياسة بعض الناشطين، من أبناء "الأقليات"، إلى ابراز انتماءاتهم الطائفية، كلّما تسنّى لهم ذلك، في محاولة منهم لتكذيب الأطروحة هذه، ليسود بعض المناطق جوٌ ثقيل مشبعٌ بالشك. في الإطار هذا، صارت صفحات الـ"فايسبوك"، والمناقشات التي تعقب أفلام الفيديو الخاصة بالثورة على الـ"يوتيوب"، مجرد مكان لتبادل الشتائم الطائفية بامتياز.

لكن وصف الحال بالطائفية هنا، ليس بالبساطة هذه، أولاً لتعذر إجراء إحصاءات دقيقة للظاهرة المطروحة؛ ثانياً، لأن الطائفية لا تشكل في الواقع السوري حالةً كيميائية صرفة، بل ظاهرة تختلط بظواهر أخرى، لتقدم لنا واقعاً معقداً، صرنا نشهد فيه اقتتالاً بين "ثوار" اسلامويين وعناصر من "الجيش الحر"، تنتمي غالبيتهم إلى الطائفة السنية (راجع مثلاً تحقيق قاسم حمادي المنشور في جريدة "السفير"، 12/05/2012، وما جاء فيه على لسان العقيد المنشق قاسم سعد الدين). هنا، تتشابك عوامل عدة، اجتماعية، اقتصادية، وسياسية، مع المكوّن الديني، لتنسج حالةً من التشدد الطائفي والايديولوجي العويصة، لا بد من مجابهتها.

لتفشّي الطائفية أسبابٌ كثيرة، يعود أهمها إلى وحشية النظام في التعامل مع الثورة، على نحو ولّد فيه عنفاً مضاداً، اتسم أحياناً بألوان طائفية، نظراً إلى تركيبة مجتمعنا السوري وعلاقته بالدين، وإلى إمكان تداخل البعد الديني فيه، بدرجات متباينة، في نسيج الهوية. على مستوى آخر، تضافرت سياسات النظام الإعلامية والأمنية (المباشرة منها وغير المباشرة) من أجل محاولة كسب الأقليات، من خلال زرع الخوف بين أبنائها. هنا، يكفينا أن نتذكر كيف عمل النظام جاهداً على تشويه صورة الثورة، من خلال تقديم الحراك، منذ أسابيعه الأولى، على أنه صراعٌ طائفي، مسيّس سلفياً، في الوقت الذي كانت فيه سلمية الثورة ناصعةً، وشعارات الوحدة الوطنية، التي تغنّت بها، هدّارة. في السياق هذا، تمّ اختلاق مجموعة من الشعارات، كشعار "العلويون إلى التابوت، والمسيحيون إلى بيروت"، الذي نُسب إلى الثوار من دون أي فيديو يوثّقه. كذلك، تمت فبركة أفلام وأحداث عنف، وقصص، كان لها أثرٌ بعيد المدى في نفوس البعض، على الرغم من سوء "إخراجها"، ليستولي على الكثيرين منا قلقٌ من آخَر "مؤبلس" يسنّ سكّينه للذبح!

انتباه طائفية!

فيه على لسان العقيد المنشق قاسم سعد الدين). هنا، تتشابك عوامل عدة، اجتماعية، اقتصادية، وسياسية، مع المكوّن الديني، لتنسج حالةً من التشدد الطائفي والايديولوجي العويصة، لا بد من مجابهتها.

لتفشّي الطائفية أسبابٌ كثيرة، يعود أهمها إلى وحشية النظام في التعامل مع الثورة، على نحو ولّد فيه عنفاً مضاداً، اتسم أحياناً بألوان طائفية، نظراً إلى تركيبة مجتمعنا السوري وعلاقته بالدين، وإلى إمكان تداخل البعد الديني فيه، بدرجات متباينة، في نسيج الهوية. على مستوىً آخر، تضافرت سياسات النظام الإعلامية والأمنية (المباشرة منها وغير المباشرة) من أجل محاولة كسب الأقليات، من خلال زرع الخوف بين أبنائها. هنا، يكفينا أن نتذكر كيف عمل النظام جاهداً على تشويه صورة الثورة، من خلال تقديم الحراك، منذ أسابيعه الأولى، على أنه صراعٌ طائفي، مسيّس سلفياً، في الوقت الذي كانت فيه سلمية الثورة ناصعةً، وشعارات الوحدة الوطنية، التي تغنّت بها، هدّارة. في السياق هذا، تم اختلاق مجموعة من الشعارات، كشعار "العلويون إلى التابوت، والمسيحيون إلى بيروت"، الذي نُسب إلى الثوار من دون أي فيديو يوثّقه. كذلك، تمت فبركة أفلام وأحداث عنف، وقصص، كان لها أثرٌ بعيد المدى في نفوس البعض، على الرغم من سوء "إخراجها"، ليستولي على الكثيرين منا قلقٌ من آخَر "مؤبلس" يسنّ سكّينه للذبح!

ترافقت الحرب الإعلامية والأمنية هذه بممارسات أخرى، ممنهجة وعفوية، لا مجال للخوض فيها هنا، عزّزت أجواء التوتر الطائفي، كاستهداف الشبّيحة بعض أماكن العبادة، وما لازمها من تدنيس للمقدسات.

لكن النظام لا يتحمّل وحده مسؤولية ما نعيشه اليوم، فلمواقف الكثير من المؤسسات الدينية، التي استسلمت للخوف، حصّةٌ في ما يجري. هنا، لم يتردد الكثير من رجال الدين في فضح ما اعتبروه "مؤامرة"، وفي نقد الحراك الشعبي، منذ أيامه الأولى، في الوقت الذي لم يتجرأ فيه كبار المسؤولين الدينيين على إدانة وحشية النظام في التعامل مع الناشطين، التي لا تخفى على أحد، لا بل كالوا له المدائح! في الإطار هذا، صرنا نسمع تصريحات جارحة من رجال دين، كتلك التي تعتبر النظام السوري أفضل الديموقراطيات العربية، أو كتلك التي تؤكّد اكتظاظ جامعة حلب بالمسلّحين الأجانب، على الرغم من أن شهداء الجامعة كانوا كلهم من السوريين، وأن مداخل الجامعة ومخارجها، أجمعها، تقع تحت مراقبة الأمن!

أما المعارضة السياسية، فتتحمل أيضاً مسؤولية كبيرة في الوصول إلى ما نحن عليه، بسبب ضعف برامجها واستراتيجيات عملها، وعدم إيلائها الملف الطائفي ما يستحق من أهمية. فلا برامج توعوية عن الطائفية، ولا تقارير دورية لمتابعة الموضوع، ولا شفافية في عمل "المجلس الوطني"، بل تسترٌ على أخطائه الذاتية، بما أفقده الكثير من صدقيته، لتخسر كلمتُه وزنَها في شارعٍ متأجّج. لكن الأخطر من ذلك كله، هو ما بات يرشح عن سعي بعض أطراف المعارضة السياسية، إلى تأسيس جماعات مقاتلة، مرتبطة بها عقائدياً، ذات طابع اسلاموي تكفيري، مستفيدةً من الصراعات الإقليمية والدولية، ومن انغلاق الآفاق السياسية، ومن التجيّش الديني والعاطفي. مع تنامي التيارات السياسية أو العسكرية المتشددة هذه، شهد واقع الثورة تصاعداً حاداً في مذهبة الشعارات، كما اتسمت أسماء الجُمَع بلون إسلامي قائم على الاقصاء والاستجداء المذهبي، بشكل يثير الشكوك في آليات العمل التي يتبعها بعض الأطراف المعارضين، بما يخدم مذهَبَة الثورة.

كما ارتبط التوجّس الطائفي من الآخر الآخذ في الانتشار مع عامل جديد، هو الفلتان الأمني، الطبيعي منه والمتعمّد، بما سهّل مهمة اللصوص وقطّاع الطرق (من الأطراف جميعهم) في الافادة من الظروف الحالية، للقيام بأعمال سلب ونهب وخطف تحت مسميات عدة، أخذ بعضها اسم "المقاومة"! وطُعِم الفلتان هذا بمحدودية قدرة المعارضة العسكرية على تنظيم نفسها، لتختلط أوراق المسلحين بعضها ببعض، على نحو صار فيه من المضحك الكلام على معارضة عسكرية بصيغة المفرد!

لكن، على الرغم من هذا كله، لا تزال رقعة التوتر الطائفي محدودة نسبياً، ولا يزال عند الكثير من السوريين الوعي الكافي لمواجهة الظواهر هذه، التي تقع على عاتقنا جميعاً مسؤولية مجابهتها، كلٌ بحسب موقعه. تالياً، لا بدّ من تفعيل

انسحاقية

ملف العدد

ل العمل الصحافي الشبابي، خارجاً عن الوصاية الصحافية للثورة، ليتسم العمل بروح الشفافية التي لا تحابي أحداً، مطلقةً على الأشياء أسماءها الحقيقية، وفاضحةً مسارات الطائفية ومهندسيها، على الرغم من سيل تهم التخوين التي قد تنهال على العاملين بها. في الإطار هذا، صار من الضروري إنشاء فرق عمل خاصة لرصد أحوال المجتمع المدني بظواهره الإيجابية والسلبية، وبما يعتريه من خروق أو تشوّهات في الوعي العام. ولكي يتكلل العمل هذا بشيء من النجاح، لا بد من إرفاقه، على مستوىً آخر، إن أمكن، بمشاريع إخاء أهلي، وببرامج توعوية خاصّة بالسكان عن المواطنة، للعمل قدر الإمكان على مواجهة ظواهر العنف الديني التي لن تجلب إلا الخراب للجميع.

حسين عمر

مفهوم السلوك في الدولة الفيدرالية

ظهرت كلمة «الدولة» في اللغات الأوروبية عند منعطف القرن الخامس عشر والسادس عشر للإشارة إلى شكل من أشكال التنظيم السياسي الذي تطور انطلاقاً من فكرة النهضة. وكلمة «الدولة» مشتقة، حسب هانا ارندت، من اللاتينية status rei públi–cae التي تعني «شكل الحكومة». وكان نيكولاس ميكيافيل أحد أوائل من استخدم كلمة stato بمعنى «الوحدة السياسية لشعب». ويحدد ماكس فيبر في عمله اقتصاد ومجتمع الدولة على أنها «مشروع سياسي ذو طابع مؤسسي حينما وبقدر ما يضطلع جهازها الإداري، بنجاح، في تطبيق القوانين، باحتكار ممارسة الإكراه المادي المشروع على الإقليم المحدد.» أي أن من منظور علم الاجتماع الفيبري، تنجم السيادة عن قدرة الدولة عبر جهازها الإداري على احتكار العنف المادي والرمزي.

إذاً، الدولة هي أحد صيغ التنظيم السياسي والقانوني لمجتمع أو لبلد. وتتعين الدولة بحدود إقليمية تُطبق ضمنها قوانينها وتتكون من مؤسسات تمارس من خلالها سلطتها التي تستند شرعيتها على سيادة الشعب أو الأمة.

والبلد هو كيانٌ جغرافي في حين أن الحكومة هي المؤسسة التي تدير الدولة بينما لا تمتزج الأمة بالدولة إلاّ في نموذج الدولة–الأمة الذي تمكن الغرب، وأوروبا خاصة، من انجازه كتعبير عن التدامج بين الأرض والأمة والهيئة السياسية، بحيث أصبحت الأمة، كتعبير عن حضارة معينة وفي لحظة تاريخية من تطورها، بمثابة أيديولوجيا الدولة البيروقراطية المركزية التي تشكلت في أوروبا في مرحلة الثورة الصناعية والإنتاج المكثف والسوق الواسعة وإدخال الآلة على الإنتاج الزراعي والحرفي.

أشكال الدولة

وتختلف نظريات الدولة سواءً في العلوم السياسية أو علم الاجتماع باختلاف التيارات الفكرية التي تؤسس معرفياً لهذه النظريات، ولكن يبقى للدولة الحديثة، عموماً، شكلان: الدولة البسيطة الموحدة (المركزية)، والدولة المركبة التي تشكل الفيدرالية أحد أهم نماذجها.

الدولة المركزية

تقوم الدولة البسيطة الموحدة على أساس تمفصل السلطة السياسية حول مبدأ الوحدة والمركزية، أي عملية احتكار ممركزة لاتخاذ القرار السياسي وتعميمه. إذ تكون هناك سلطة سياسية وحيدة تتخذ من العاصمة مركزاً إدارياً وتتكفل بإصدار وتعميم إرادة الدولة نحو الأطراف المكونة وبذلك يكون هناك برلمانٌ واحد وحكومة واحدة وسلطة قضائية واحدة.

في بعض الحالات تكون الحدود بين الدولة الفيدرالية والدولة المركزية أكثر ضبابية. حيث نجد غالباً دولاً مركزية لديها تقسيمات إقليمية وإدارية تدير نفسها بنفسها. إلاّ أن الفارق بين الفيدرالية وهذا النمط من الدولة المركزية يكمن في أن هذه الأخيرة تمنح حكماً ذاتياً لمقاطعاتها بقرار منها ويمكنها إلغائه بقرار منها أيضاً. وبالتالي، يشكل كامل إقليم الدولة المركزية كياناً واحداً وسيداً أو دولة–أمة وبالتالي فإن حكومتها المركزية تمارس سيادتها على عموم إقليمها.

الفيدرالية

تعريف الفيدرالية:

الفيدرالية اصطلاحاً مأخوذة من الكلمة اللاتينية (foedus) التي تعني التحالف. أما كبنية سياسية، فهي نظامٌ سياسي تتقاسم فيه الحكومة المركزية لدولة سيدة مع الكيانات الفيدرالية المكونة لها مختلف الصلاحيات الدستورية، أي التشريعية والقضائية والتنفيذية. إنها نمطٌ للتنظيم السياسي تتقاسم فيه الحكومات الإقليمية والحكومة المركزية النشاطات العامة واتخاذ القرار فيها. أما السيادة في الدولة الاتحادية فتخضع لتقسيم غير تراتبي بين الحكومة المركزية وحكوماتها الإقليمية. يمكن التمييز بين الفيدرالية عن طريق الانضمام والفيدرالية عن طريق الفصل. الفيدرالية عبر الانضمام هو نظامٌ قائم على ضم عدة دول كانت مستقلة

إيقاع فكري

فيما مضى، أمّا الفيدرالية عن طريق الفصل، فهو نظامٌ اتحادي قائم على تجزيء دولة كانت موحّدة داخلياً فيما مضى إلى عدّة أقاليم مفدرلة، الأساس المشترك في الحالتين هو القبول بالخضوع لسلطة عليا مشتركة. الفيدرالية هي سعيٌ إلى التوازن بين احترام التنوّع والاختلاف والحاجة إلى الوحدة، بين الانفصالية والتشارك.

يقول فرانسوا روشيه وكريستيان رويار: «كبنية مؤسسية وعملية ديناميكية، الفيدرالية هي أوّلاً وقبل كل شيء مشروع سياسي يسعى إلى التوافق، داخل دولة، بين جماعتين أو عدّة جماعات متمايزة، بغية اقتيادها إلى العيش المشترك... تسعى الفيدرالية إلى إيجاد توازن بين القوى الجاذبة والقوى النابذة، بين الحاجات المتناقضة للوحدة والتنوّع، بين الإشراك والانفصال. إنّها ترتكز على تجزئة غير تراتبية للسيادة بين حكومة مركزية وحكومات إقليمية. وهذا ما تتمايز به عن الكونفدرالية التي يتم الخلط بينهما غالباً.»

الدولة الفيدرالية:

الدولة الفيدرالية عادة ما تكون دولة سيّدة، مكوّنة من عدّة كيانات مستقلة ذاتياً تتمتّع بحكومتها الخاصّة، تسمى ولايات فيدرالية. يكفل الدستور الفيدرالي الوضع القانوني لهذه الكيانات الفيدرالية ولا يمكن المس به بقرار أحاديّ الجانب من الحكومة المركزية. والفيدرالية هي شكل حكومة الدولة الفيدرالية أو بنيتها الدستورية. إنّها عبارة عن مجموع دول متّحدة لها نوعٌ من الحكم الذاتي مع اعترافها بسلطة عليا مشتركة وبذلك يمكن اعتبار الدولة الفيدرالية على أنّها نقيضة الدولة المركزية.

قد تكون الدول الفيدرالية متعدّدة الاثنيات وتشمل أقاليم واسعة أو تكون أحادية القومية. تتأسّس الفيدراليات غالباً بموجب اتفاقيات قائمة على اهتمامات ومصالح مشتركة تتقاسمها عدّة دول مستقلة. وفي بعض الأحيان، في العصر الوسيط، تعايشت الدول ضمن كونفدرالية.

إذاً، الدولة الفيدرالية، وهي شكلٌ من أشكال الدولة وأحد نماذج التنظيم الذي تقوم عليها بحيث تستجيب للرغبات التي تثيرها في مجال العلاقات مع المواطنين، هي دولة مركّبة تقوم على أساس توزيع سلطات القرار السياسي بين المتحدات المكونة لهذه الدولة. ولذلك تتّسم الدولة الفيدرالية بازدواجية السلطة بين المركز الاتحادي والأقاليم. وتنظّم هذه الازدواجية بموجب الدستور، إذ يقوم الدستور إمّا بحصر سلطات المركز أو حصر سلطات الأقاليم أو التفصيل في سلطات كلّ من الطرفين. في الدولة الفيدرالية تبقى مظاهر السيادة الخارجية حصرية بيد السلطة الاتحادية في حين تتوزّع مظاهر السلطة الداخلية بين الأقاليم فيمارس سكان كلّ إقليم سيادته الداخلية على مستوى التشريع والتنفيذ والقضاء. فلكلّ إقليم فيدرالي برلمانه المحلي وحكومته التنفيذية وجهازه القضائي.

والفيدرالية هي إحدى أرقى الصيغ السياسية للتعايش المشترك في البلدان المتّسمة بالتعددية المتمحورة حول التنوّع اللغوي والثقافي والاثني والمذهبي، بل هي المحاولة الأخيرة للحفاظ على هذا التعايش القائم على الاعتراف المتبادل، والحلّ الناجع للمشاكل التي تعكس تنوّع السكان واختلافهم.

وإذا كانت الدولة المركزية هي، في الأساس، ثمرة الملكيات في إطار سعيها إلى ضم ودمج الإقطاعيات المتناثرة، فإنّ الدولة الفيدرالية هي من نتاج الحداثة السياسية التي تحقّقت في مرحلة سيادة العلاقات الرأسمالية وتقوم فكرتها أساساً على الاعتراف بتباين المصالح واختلافها. ولذلك نجد أولى نماذجها الناجحة في مهد تلك الحداثة السياسية.

تختلف القراءات حول النظام الفيدرالي كنظام وليد من التاريخ ومناسب لحاجات كلّ شعب، ولكن يبقى هناك أساسٌ مشترك للفيدراليات وهو نزع بعض الصلاحيات من السلطة المركزية وتخويلها للسلطات الإقليمية.

مع ذلك، تختلف سياقات تشكّل الدول الفيدرالية وتتباين تجاربها التاريخية من جهة بنيتها الدستورية وطبيعة التنوّع والاختلاف بين سكانها. ففي خطابه أمام المؤتمر الوطني الوالوني، حول الفيدرالية، يقول فيردينان ديوس (1906–1976)، الأستاذ في جامعة ليبج والدبلوماسي البلجيكي: « الفيدرالية، أيها السيدات والسادة، هي كلمة نستخدمها غالباً ولا نعرف ما تعنيه في معظم الأحيان. وذلك لأنّ هناك فيدراليات بقدر الدول التي تعيش أنظمة فيدرالية.»

فالتجربة الأمريكية امتازت عن أوروبا بغياب الماضي الإقطاعي فيها، كما لم يكن المجتمع الأمريكي مؤلفاً من مجموعة سلطات مستقلّة وإنما تكوّن عن طريق التنظيم الذاتي ولذلك اتخذ التحضير لدستور فيلادلفيا في مؤتمر 1787 الطابع التعاقدي للمجتمع المدني، وظلّت الولايات المتحدة ترفض باستمرار إنشاء سلطة ممركزة.

إيقاع فكري

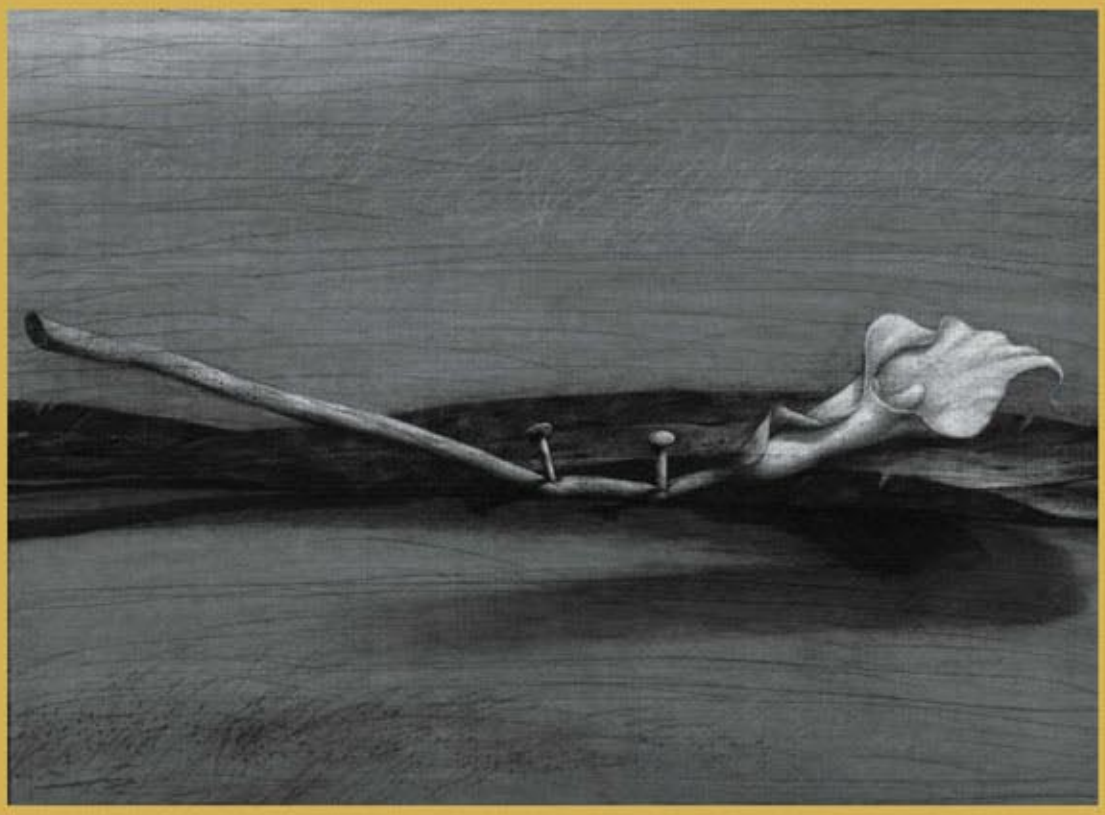

أمّا التجربة السويسرية فقد انطبعت بالطبيعة الجغرافية لهذا البلد بالإضافة إلى بنيته الاجتماعية المتباينة، حيث كانت الكانتونات والدوقيات والكونتيات والأسقفيات والمدن منفصلة عن بعضها بحواجز جغرافية وظلّت تحكم ذاتها بذاتها وحكمتها منذ عام 1291 معاهدة تحالف دائم وتعاون متبادل. وقد كان لهذه العوامل أثرها في الانتقال التدريجي من الكونفدرالية إلى تشكيل الاتحاد السويسري المعاصر في عام 1848.

الفيدرالية نظامٌ ديمقراطي في جوهره، نظامٌ محايث للديمقراطية. الفيدرالية هي أساساً وجوهرياً التعبير عن الديمقراطية كما أنّ الفيدرالية هي الصيغة الأسمى للحكم لأنّ السلطات المحلية التي تشكّلها تكون على إطّلاع ومعرفة وثيقة بالاحتياجات المحلية أكثر من أيّ حكومة مركزية مهما بلغ صلاحها. الفيدرالية هي التطبيق العملي والتجلّي الأكثر عقلانية والأكثر تحديداً لحقّ الشعوب في تدبير شؤونها، الحقّ الذي لا جدال في عدالته من حيث المبدأ.

والحقيقة، ليست الفيدرالية صيغة سرمدية إذ أنها تضمن حقّ الانفصال، أي الحقّ في الانسحاب من الاتحاد إذا اقتضى الأمر. ولكن الفيدرالية هي أيضاً المحاولة الأخيرة في سبيل العيش المشترك. والنجاح في هذه المحاولة يتطلّب الكثير من الشجاعة وبذل الكثير من الجهود.

فلسفة الفيدرالية

وقبل أن تكون مجرد نمط من التنظيم السياسي، الفيدرالية هي في المصاف الأوّل فلسفة، مفهوم اجتماعي للحياة. ومن خلال كتابات الكاتب السياسي الفرنسي آليكسي دو توكفيل والفيلسوف الأخلاقي الفرنسي مونتيسكيو والفيلسوف الألماني ايمانويل كانط، برزت تيارات فكرية عديدة ومفاهيم خاصّة متعددة حول الفيدرالية وماهيتها. ولكن عموماً، يمكن إبراز تيارين رئيسيين هما الفيدرالية الهاملتونية والفيدرالية التكاملية. ترتكز الفيدرالية الهاملتونية، نسبة لأفكار الكاتب الأمريكي الكسندر هاملتون، بشكل جوهري، على رؤية ديمقراطية ومؤسسية محضة. الأمر الذي يتطلّب انفصالاً عن الإيديولوجيات السياسية. فيتطوّر المواطنون حسبَ رغبتهم ولهم حريتهم في الانتظام وفي تفويض الصلاحيات للمؤسسات التي يختارونها. على النقيض من ذلك، تستجيب الفيدرالية التكاملية، أو الشمولية كما يعرفها البعض، لاعتبارات أخرى. ويكمن الفرق الأساسي بين التيارين في أنّ أنصار الفيدرالية

التكاملية يساندون فكرة فيدرالية محض ممأسسة ولكن أيضاً تلتزم بمبادئ فلسفة سياسية.
يمكننا القول أنّ الفيدرالية قد انطلقت بالتزامن مع تشكّل الدول–الأمم كاستجابة لحاجة. فسويسرا مثل كندا أو الهند رغبت في تبني نظام فيدرالي بهدف خلق متحدات سياسية راسخة ومتينة وتؤمن لكلّ من مكوناتها الفيدرالية استقراراً ملائماً. إن إحدى فوائد الفيدرالية هي إمكانية أن نوحّد في جهاز دولتي واحد شعوباً مختلفة في تاريخها. وقد أظهرت تجربة الولايات المتحدة أنّه في سياق جيوبوليتيكي معقّد، يمكن التوفيق بين رجالٍ ونساءٍ في مدى إقليمي معينّ، دون استحضار قيم مشتركة كالاشتراك في تاريخ أو لغة أو دين أو اثنية...
إذاً، الفيدراليّة نظامٌ سياسي متكيّف يسمح، بخلاف أنظمة أخرى، بأن يُدمَج داخل نفس المتحد السياسي المتمتّع بالسيادة، وعلى نحو أسهل، مكوّنات مختلفة.
الفيدراليات وأشكال أخرى للدولة:
تكون الولايات الفيدرالية ذات سيادة ما لكونها تختصّ ببعض السلطات التي لا يمكن للحكومة المركزية ممارستها أو انتزاعها منها. ومع ذلك تتعدى الدولة الفيدرالية كونها محض تحالف بين دول مستقلة. فالولايات المكوّنة لدولة فيدرالية لا تحظى عموماً بأيّ سلطة تخصّ السياسة الخارجية ولا بالوضع القانوني للدّول المستقلّة فيما يخصّ القانون الدولي.
تُسمى بعض الفيدراليات بالفيدراليات اللامتماثلة لأنّ بعض الولايات فيها تحظى باستقلال ذاتي أكبر من الولايات الأخرى كما هو الحال في الفيدرالية الماليزية المكوّنة من ثلاث عشرة ولاية، حيث دخلت ولايتا ساراواكْ وساباه إلى الدولة الفيدرالية بغايات وشروط تختلف عن الولايات الأخرى لشبه الجزيرة الماليزية.
تنبثق الدولة الفيدرالية غالباً باتّفاقية أوّلية بين عدد من الدول المستقلة بغرض الرغبة في حلّ مشاكل متبادلة أو توخّي دفاعٍ متبادل أو إقامة دولّة– أمّة. ولكن نظراً لتنوّع تاريخ البلدانْ والأمم تختلف أنماط الفيدرالية أيضاً. فالفيدرالية الأسترالية مثلاً تأسّست بناءً على استفتاءات ديمقراطية أجريت وصوت فيها مواطنو كلّ دولة لصالح إقرار الدستور الأسترالي.
الدول الفيدرالية بحكم الواقع (de facto):
غالباً ما يكون التمييز بين دولة فيدرالية ودولة مركزية مبهماً. يمكن لدولة مركزية أن تتشابه كثيراً في بنيتها مع فيدرالية للأقاليم. ففي حين تمتلك حكومة مركزية نظرياً حقّ إلغاء الحكم الذاتي لإقليم، قد يكون ذلك صعباً من الناحية السياسية عملياً. وأحياناً تحظى أقاليم دولة مركزية بحكمٍ ذاتيٍ أوسع من بعض فيدراليات الولايات. ولهذه الأسباب يُزعَم أحياناً بأنّ بعض الدول المركزية الحديثة هي فيدراليات بحكم الواقع.
يمكن، مثلاً، اعتبار أسبانيا دولة فيدرالية بحكم الواقع لكونها تبيح لمقاطعاتها الذاتية الحكم إدارة ذاتية أوسع من الكثير من فيدراليات الدول التي لا تبيح ذلك لدولها الفيدرالية، حيث بات، عملياً، من شبه الاستحالة السياسية إلغاء الحكم الذاتي لمقاطعات مثل كاتالونيا ونافار وبلاد الباسك وإن لم يكن هناك ما يمنع ذلك قانونياً. في الصين أيضاً، تطوّر شكلٌ من فيدرالية الأمر الواقع من خلال منح سلطات واسعة، بشكل غير رسمي، إلى المقاطعات في الشؤون الاقتصادية وفي تنفيذ سياسات قومية. وقد نجم عن ذلك نظامٌ وصفَ من قبل البعض بـ « فيدرالية أمر واقع بخصائص صينية».
أمّا بلجيكا، فتعدّ حالة خاصّة، إذ تعود إقامة الفيدرالية فيها إلى تعديل دستور 8 أيار 1993. قبل ذلك، كانت بلجيكا تُعدّ رسمياً دولة مركزية مع أنّ عملية لا مركزة مضطردة سارت طيلة القرن العشرين. حيث تتّسم الفيدرالية البلجيكية بحقيقة أنّ نوعين من الكيانات الفيدرالية يمارسان على نحو متلازم صلاحياتهما على نفس الإقليم: الأقاليم والمقاطعات. وقد صاغ جان موريس دوهوس، في سياق اشتغاله على التجربة البلجيكية، ما يُدعى تكافؤ القوانين، بمعنى أنّ القانون الفيدرالي لا يحظى بأيّ أسبقية أو أولوية على قانون الأقاليم الفيدرالية وهو المبدأ القائم على أساس الاختصاصات الحصرية. وقد جعلت هذه الميزة من الفيدرالية البلجيكية فريدة من نوعها في العالم.

لغة الاشياء / ما أسخف همومنا

باسمة العنزي

ما الذي سيحدث لو مالت اللوحة قليلا لليسار، ولو توقف بث التلفاز ليومين، ولو وجدت ملابسك خارج الخزانة، ولو لم تذهب للعمل هذا الصباح؟!

ماذا سيحدث لو نسيت أين وضعت مفتاح المنزل، وانقطع رنين هاتفك النقال، ولم تجد أمامك سوى ديوان شعر قديم لتقرأه للمرة العشرين؟!

ما الذي سيتغير في عالم شاسع لو فكرت أن الخدش على باب سيارتك بات أوضح من قبل، والتراب على حافة نافذتك لم يعد يحتمل، وكتاب المقالات الذين تقرأ لهم كل صباح فقدوا لياقتهم وجاذبية كلماتهم، واسئلة صغارك بدأت تتشعب بفضول لا يجارى، وراتبك لن يكفي شراء الحقيبة الجلدية الثمينة، ولا قدرة لك على السهر لتكتب شيئا جديدا؟!

ما الذي سيزعجك لو أن الملح أقل من المعتاد في طبقك المفضل، وضرس العقل بدأ ينمو، ومواعيد أطباء الأسنان مكتظة، والأخبار الرديئة تتناسل في الواتس اب ممزوجة بالإلحاح، وانك سئمت مشاويرك اليومية، وانك غير متصالح مع موجات الغبار والاصفرار؟!

ما معنى أن يعلو صوتك و تتذمر عندما يزداد الازعاج من حولك، وتخرج الأمور عن السيطرة، وتفتش عن وسادة سلام تضع عليها رأسك القلق فلا تجد سوى المزيد من الضجيج؟!

ما أهمية أن ترغب في تغيير أريكة واستبدال ستارة و طلاء جدار بدافع الضجر، وأن تخطط لرحلة مفاجئة فتعاكسك المواعيد، وأن تصعد السلالم مسرعا وقد لا تصل، وتحاول دائما ضبط مؤشر التكييف على الدرجة الصحيحة فلا تفلح؟!

كل ما يزعجك ويجلب لك شيئا من التوتر ويعاكسك في أيامك العادية لا يعدو كونه دلو ماء بارد في نهاية حقل يحترق!

كل ما يجبرك على أن تطلق «أف» وتركل الحصى في طريقك، وما يجعلك تشعر بأن كل شيء عليه أن يكون مناسبا لحياة مثالية لا يعدو كونه نورسا على جسر خشبي آمن، هارب من بنادق الصيادين.

العالم خارج محيطك الشخصي الصغير بيضة رخ في قدر ماء مغلي، ماذا تساوي همومك المدللة أمام عذابات الذين ينحرون كل يوم لتصبغ دماءهم الصحارى والغابات والبحار، لا شيء يبدو لافتا من قلقك المرفه وسط أخبار الحروب و المجازر والمجاعات، حتى تعاطفك الوقتي مع كل مظلوم لن يعدو كونه قطعة ثلج على فوهة بركان!

لا تنزعج من الكثير من الأشياء اليوم وغدا وبعد غد، ليس خجلا فقط من قصاصات القبح المقذوفة أمامك، فهي ليست سوى جزء صغير من صورة أبشع، ولا تعاطفا مع ضحايا النكبات وسوء الحظ في هذا العالم، بل لأنك تنظر للجحيم من غيمة وردية، وكل الأيدي المرفوعة طلبا للمساعدة لا تلبث أن تختفي في بؤسها قبل أن يتسنى لك ذرف دمعة من عل!

مشاهد من ساحة جامعة حلب

حسين برو

1 ـ الأم وابنها

أم تمسك ابنها من بين الحشود وتقول له بخوف شديد .. ابني مشان الله خلص امشي معي ع البيت مو فشيت قهرك مو صرخت وزعقت وسقطت ... الابن يقول لها يايوم الله يخليلي ياك بس شوي خليني شوي مع رفقاتي ارضي علي يامو .. والام خائفة تمسك بابنها بيد رخوة عينيها كانت تقول انها فخورة به وقلبها يكبله الخوف ... تفلت الام يد ابنها وتطلق زغرودة تلعلع في سماء الجامعة وتصرخ الله يرضى عليكم يا ابني الله يحميكن الله ينصركم وتودع ابنها الذي غاب بين جموع المتظاهرين ... أجزم أن عينيها كانت تقول أشياء تشبه الأسطورة

2ـ الخوف حين يهوي

شاب معتقل لمرتين ومهدد أنهم في الثالثة سيعيدونه الى امه بكيس ... سار على خجل على تخوم الجامعة يسمع اصوات الشباب التي تشق السماء راودته نفسه أن يكون بينهم ، تذكر أمه وتخيلهم يسلمونها جثته ملفوفة بكيس .. تزغرد الصبايا يقترب خطوتين يصرخ الشباب يقترب خطوتين ما هي الا خمس دقائق إلا وصاحبنا مرفوع على أكتاف رفاقه يهتف ويصرخ وبصوت عال : لعيونك يامو لعيونك يامو .... كان الفرح يرسم في عينيه لوحة للأمل

3 ـ سائق التاكسي الستيني

كان يسير بسيارته معه توصيلة .. عيناه ترقصان وهي تشاهد الشباب والصبايا يكسرون حاجز الخوف ويصرخون يطلبون الحرية .. لا اعرف ربما لدقيقة مر في راسه شريط سنواته الستين .. القمع القهر الخوف الفقر الذل .. حقيقة لاأعرف ماذا مر في ذهنه لكنه يعتذر من الراكب الذي معه ويفتح بابه ودون أن يدري او ربما لأنه يدري كان يتوسط حلقة الشباب والصبايا يهتف معهم يشجعهم يبكي يضحك كان شابا عشرينيا وهو الذي تجاوز الستين بسنوات وكما في حلقات الزار شيخ الرجل وبدا وكأنه يتواصل مع الله يدعو للشباب بالنصر يدعو للحرية أن تسكن البلاد يدعو الله أن يحمي الشباب والصبايا ... الحمدلله ما متت وشفت أحفادي رجال وما عاد يرضو بالذل ... كانت هذه آخر كلمة يقولها قبل أن ينفجر بالبكاء والضحك معاً

4 ـ الأب وابنته

تجاوز الخمسين بقليل ... سقط كل شعر راسه تقريباً .. هو تخرج من سنين طويلة من جامعة حلب وابنته ايضا تخرجت ، والثانية ما زالت طالبة تدرس هناك .. سمع أن مظاهرة تقوم في الساحة شده الحماس أن يذهب ويتفرج على الشباب هناك ... وصل الى الساحة لم تعد الفرجة تكفيه وجد نفسه مندفعاً يهتف مع الهاتفين ويجول ببصره ليقرا الوجوه ليكتشف سر القوة التي يمتلكها هؤلاء الشباب ... تجمد عيناه فجأة لا يصدق كانت ابنته مع الجموع تهتف وترقص وتزغرد .. ربما خاف للحظة ماذا جاء بها الى هنا؟ لكن المؤكد انه كان يفتخر بها خطوات قليلة واصبح بقربها يردد الهتاف وراءها فرحاً كطفل وصلته هدية العيد ... كانت الابنة تعيد صياغة علاقة جديدة مع أبيها وكان الأب يقول في نفسه ها قد أحسنا تربيتكم يا ابناء وها أنتم تعيدون تربيتنا من جديد

5 ـ استاذ الفلسفة المشاغب

يملك سيارة حديثة اشتراها بعد أن هده التعب والتدريس كان فرحاً بها يدللها كي تدلله على حد قول اصحاب السيارات ...سمع بمظاهرة الجامعة قرر أن يذهب الى هناك توقع أن طريق الساحة سيكون مقطوعاً جاء من طرف أدونيس ركن سيارته هناك وذهب على قدميه الى الساحة هتف مع الهاتفين رقص وغنى وربما جرب ان يزغرد فلم يفلح لكن قلبه حتما زغرد من الفرح والفخر .. وحين بدأت قوات الأمن بالهجوم على المتظاهرين ورميهم بالقنابل الدخانية هرب الجميع من طرف نزلة ادونيس هو لم يركض لأنه لا يستطيع الركض أولا ولأنه وجد القوات المنية تركض خلف الراكضين وتهمل السائرين ... وصل الى سيارته كانت مصابة بحجرتين كبيرتين وكان سقف السيارة مطعوجاً ربما داس فوقه أحد الهاربين اول كلمة قالها فداكم يا شباب فداكم السيارة وصاحب السيارة واقسم أن لا يصلحها فهي على حد قوله ذكرى جميلة ليوم جميل

ـ الأب وابنته

تجاوز الخمسين بقليل ... سقط كل شعر راسه تقريباً .. هو تخرج من سنين طويلة من جامعة حلب وابنته ايضا تخرجت ، والثانية ما زالت طالبة تدرس هناك .. سمع أن مظاهرة تقوم في الساحة شده الحماس أن يذهب ويتفرج على الشباب هناك ... وصل الى الساحة لم تعد الفرجة تكفيه وجد نفسه مندفعاً يهتف مع الهاتفين ويجول ببصره ليقرا الوجوه ليكتشف سر القوة التي يمتلكها هؤلاء الشباب ... تجمد عيناه فجأة لا يصدق كانت ابنته مع الجموع تهتف وترقص وتزغرد .. ربما خاف للحظة ماذا جاء بها الى هنا؟ لكن المؤكد انه كان يفتخر بها خطوات قليلة واصبح بقربها يردد الهتاف وراءها فرحاً كطفل وصلته هدية العيد ... كانت الابنة تعيد صياغة علاقة جديدة مع أبيها وكان الأب يقول في نفسه ها قد أحسنّا تربيتكم يا ابناء وها أنتم تعيدون تربيتنا من جديد

5 ـ أستاذ الفلسفة المشاغب

يملك سيارة حديثة اشتراها بعد أن هده التعب والتدريس كان فرحاً بها يدللها كي تدلله على حد قول اصحاب السيارات ...سمع بمظاهرة الجامعة قرر أن يذهب الى هناك توقع أن طريق الساحة سيكون مقطوعاً جاء من طرف أدونيس ركن سيارته هناك وذهب على قدميه الى الساحة هتف مع الهاتفين رقص وغنى وربما جرب ان يزغرد فلم يفلح لكن قلبه حتما زغرد من الفرح والفخر .. وحين بدأت قوات الأمن بالهجوم على المتظاهرين ورميهم بالقنابل الدخانية هرب الجميع من طرف نزلة ادونيس هو لم يركض لأنه لا يستطيع الركض أولا ولأنه وجد القوات المنية تركض خلف الراكضين وتهمل السائرين ... وصل الى سيارته كانت مصابة بحجرتين كبيرتين وكان سقف السيارة مطعوجاً ربما داس فوقه أحد الهاربين اول كلمة قالها فداكم يا شباب فداكم السيارة وصاحب السيارة واقسم أن لا يصلحها فهي على حد قوله ذكرى جميلة ليوم جميل

أدونيس بين المهاتما غاندي والدكتور غيفارا

جمال حنبكي

قد يكون صداميا أن أستثمر ذكرى موت " أرنستو تشي غيفارا " في جبال بوليفيا الوعرة وبين حفنة مقاتلين، لأقول: إنّ المقالة التي قارن أدونيس فيها بين " غاندي " روح الهند ورحيق كنوزها المشرقية المهيبة، والمقاتل الأرجنتيني، ووزير الصناعة الكوبي، والطبيب " غيفارا " لم تكن سوى قدح صوان في أوراق خضراء، وتعبيرا صارخا عن ثلم في التفكير. لا أريد هدهدة أولئك الذين وضعوا صور " غيفارا " على قمصانهم، ولن أرتجف أمام بشر بوأوه مكانا في نقيّ عظامهم، أو أسكنوه أفياء قلوبهم، وسأقول في ذكراه تحديدا: لم يكن رجلكم سوى غضب وعنف تحرّك على قدمين، بينما كان " غاندي " ملاكا تفضّل على الأرض عندما سار عليها ليصقل وجهها بالحكمة، وستظل هذه الأرض، التي هرمت حقا، تتساءل في سرّها: كيف قيض لها أن تكون أمّا لكليهما؟ تساؤلها المنصف هذا، فرضه حسها المفرط بالمسؤولية، أما خلاصة" أدونيس " التي نجمت عن مقارنة ظالمة مظلمة فلا معنى لها.

أقرّ أننا تكاد تهدّنا الحيرة؛ ضوء نفيئ إلى دفئه، وذراع يلوّح لنا مزمجرا متوعدا أنّه سيستعيد لنا الكرامة، ويرسم صور الغد الخلاّبة بدمائنا وبالقنبلة، فيحملنا على أوردته المنتفخة، ويقذفنا إلى جهنمه بطرفة عين..

ولكنّ لغة الغابة ليست من جنس لغة البشر، والتاريخ لا يسوّغ لنا بثوانيه وسنواته وقرونه الطويلة المتطاولة، أن نرضى للمعادلة البسيطة هذه أن تنقلب رأسا على عقب، فعلى الرغم من أنّ العنف كتب أهم فصول التاريخ، وأن التغيير بالعنف كان وما زال سمة ترافق قطعان البشر، ومصنعا كئيبا للدساتير البديلة وعقود التفاهمات الاجتماعية الجديدة عبر العصور، أداره القتلة، وأولئك الممتنون للقتلة...إلا أننا نستمر في العيش، ونستأنف التعايش بعد انقشاع آخر دورة عنف، وفي استمرارنا زلزلة لتربة العنف وجذوره وجذوعه، وعصف بأوراقه وثماره، وفي استئنافنا التعايش ثقة أننا سننقض صبيحة الغد على ماضينا، لنكبل تلك الأذرع التي تتطلع إلى التلويح مجددا، لا لنقطعها، بل لنستفرغ الدم الأسود من شرايينها، ونحيّد النواة العنيفة خارج الخلايا، نثق، ولأننا نثق، نعيش، ولا مسوّغ لغدنا إن لم نصممه على قوالب ما نثق فيه... مذ أطبقت السلطات على رقاب مواطنيها والتغيير همّ يلاحقها، فالمجتمعات تطرحه بدءا عوزا ومطلبا، ولكنّه يتدهور إلى حضيض سبب للخصومة والانقسام والحروب والتسويات، ويسفر باستمرار عن صباحات جديدة مؤقتة، لا يموت التغيير تحت شموسها بل يتوهّج. ولأنه سرّ يلاحق علاقات الحاكم بالمحكوم، فإنّ التغيير غدا بؤرة لتعبيرات مجتمعية متباينة، ومصنعا للنظريات المتجاورة والمتوازية والمتقابلة، استطاع العنف بما يطويه من أسرار، أن يجد لنفسه موطئ قدم بين سطورها وميادينها، فامتشق المفكرون والمغامرون والطماحون سلاحا، أو راحوا يحضون على امتشاقه، وصار العنف في غفلة القلم واللوحة والمسرح والموسيقى موضعا للجدل، ومضمارا للتنابذ.

بيد أنّ الناتج الإجمالي للحضور المنفر للعنف لم يكن مرّة واحدة إيجابيا أو حميدا، وبعبارة أخرى، ليست روسيا التي تجتذب اليوم أموالا لا تأبه لمصادرها، وتنحو في تكتيكاتها السياسية منحى ابتزازيا ومافيويا بحثا عن نموّ اقتصادي يعيد لها ألقها في العالم، إلا تجليا مثيرا للسخط لعنف رافق سقوط القيصرية وحروب توزعت حول العالم نجمت عن انهيار ورثتها، ولم يؤد العنف الذي مارسته الولايات المتحدة إلى ديموقراطية شرق أوسطية مستقرة وجاذبة، وأدت العسكرة والمعارك إلى زعزعة التربة الهشة، واستخراج أحقادها وصراعاتها الأشد تخلفا، وتكشير الجنون عن أنيابه.

لست أدري حقا إذا كنا بحاجة إلى تذكّر أنّ العنف لا يؤدي إلا إلى عنف مضاد، فاقتتال مجاهدي أفغانستان بعيد سحل نجيب الله في شوارع كابل ما زال في الذاكرة، وصعود واختفاء، ثم صعود طالبان أجج الحروب والأحقاد، وأوهن محاولات النجاة بهذا الوطن البائس إلى حدود مضنية، ولم يفعل " العنف الثوري " المثير للسخرية في البيرو وبوليفيا وكولومبيا إلا شقّ الدروب أمام تجار المخدرات وملوكها اللاتينيين لتحسين ظروف تجارتهم، وحصدت ثورية إفريقيا مئات الألوف من البشر، وفاقمت جوع الأحياء وتخلفهم... ولم تؤدّ عسكرة الانتفاضة الفلسطينية إلا إلى الانتقاص من هيبة المشروع التحرري وانقسام جيوسياسي موتور ودموي، أيعقل أننا ننسى حقائق التاريخ البعيدة، ونعاند ما نراه بأم الأعين؟!

العنف هو العنف، وتشكّل الدول وتغيير معادلاتها التكوينية، وانتقال السلطة من قبضة إلى أخرى، لا يسوغ اللجوء إليه، وكوبا التي " حررها " " غيفارا " وأسس فيها نظام الأخوين:

" فيدال " و " راؤول " يخوض كوبيوها البحر ومخاطراته ليغادروها! وانقسام الكوريتين الذي نجم عن " العنف الثوري " سلب الكوريين الشماليين كراماتهم، وعزز سلطة استبدادية حولت مواطنها الكوري إلى عبد أبكم نحيل الجثة، ينشد القفز إلى بطاح المريخ تخلصا من أغلال
" محرره " " كيم إيل سونج " و " حكمة " نجله!
ما أكثر الشواهد على فساد العنف، وما أصعب أن يضطر المرء إلى الاستشهاد هنا وهناك لإثبات حقائق بسيطة ومباشرة يواجه بها من تظل أوردته متنفخة وقبضاته تلوح في الهواء على إيقاعات خطب إجرامية حماسية، ما أشقى أن نضطر إلى خطاب طفولي الملامح فنواظب على التذكير بأن الاقتصاد والفن والسعي نحو البشرية التي لا تتفاهم مع الغابية في شيء، أولى بالحماسة، وأنفع لأبنائه وأبنائنا أيضا!
قاوم المرحوم " إدوارد سعيد " عنف أمريكا، وعرى طيب الذكر" نعوم تشومسكي " ميول قواها السياسية إلى العسكرة والهيمنة عبر العالم بصور راكمها مفكرون وموسيقيون وسياسيون وشعراء وخبراء اقتصاد؛ فاستحالت ضداً أميركيا واسع الطيف، متعدد العناصر، يكاد بعد معاندة وصبر وثبات أن يساوي دولة أخرى تنتصب ضمن وضد الدولة، ومن يضم الشعبية المتعاظمة ل" رالف نادر " في أمريكا، وتحسن الحاضنة الانتخابية للدكتور" مصطفى البرغوثي " في فلسطين، واضطرار الحكومة الفاشية في بورما إلى طلب مفاوضة زعيمة المعارضة البورمية: " أونج سان سوكي " إلى مسيرة " سعيد " و" تشومسكي " وأضرابهما يستخلص أن مقاومة العنف بالخيارات السلمية يضع الأشياء والبشر على تخوم تغيير إنساني ينضح أملا لا أحقادا، ويفيض فرصا ولا يطوي في رحابه ثأرا ومرارات، أما التغيير بالعنف فلا يسفر عن أفق مبشر، لأن حاجات المنهزم بالعنف الثوري إلى انتقامات سوداء تسده بجبن وجلافة.
أما توصيف المقارنة الأدونيسية بين" غيفارا " و" غاندي " بثلم في التفكير فليس مرده بطبيعة الحال إلى تلكؤ الرجل في رفض العنف وإدانة أشكاله جميعا، أبدا، فلم يكن لأدونيس أن يتأخر عن نبذ أصغر تجلياته، وإنما الثلم في المقارنة ذاتها، ولعلها المماهاة بين واقع سياسي يشطر أبناء الشرق الأوسط، والعرب أكثريتهم، إلى " غيفاريين " و" غانديين " هي ما تسبب لأدونيس بالانزلاق إلى حضيض هذه المقارنة التي تنبذها البداهات البشرية قبل أن ينفر منها الرافضون بعزم حسبان العنف وسيلة تغييرية.
أقول: لعلها المماهاة، وليسامحني " أدونيس "، فأنا لا أصدق أن الانقسام العمودي هذا الذي نلتمسه في خطاب السياسيين والمفكرين والفنانين أيضا، هو المسؤول عن اضطراره للمقارنة بين عالمين متنابذين لا فضاء واحدا يجمعهما، فالمهاتما " غاندي " حكيم عميق، والدكتور غيفارا ثائر سطحي، والمهاتما روح مشرقية تنشد الانسجام مع الآخر، أما " غيفارا " فمادي في موتنا وموته وفي حياتنا بعناصرها جميعا، وخصم للآخر الطبقي والفكري إلى حدود القتل، لا مجال للمقارنة، عار أن أورط نفسي أيضا في مقارنة.
نعم، أنا لا أصدق مسوغ أدونيس فليس في تمحور شعوبنا حول خياري: السلاح والسلام ما يفضي إلى هنا، وما تزال قصيدة أدونيس العصماء التي كتبها بعيد انسحاب القوات العسكرية الإسرائيلية من الجنوب اللبناني، تهز مسامعي بإنشائيتها الفخمة، وطنين تشجيعنا على حماية حزب الله المسلح والإقرار بجدوى أسراره، لا يفارق ذاكرتي أبدا أن الشاعر قرأ السلاح في تلك الليلة على نحو لم ينضح عن ظاهر مقالته هذه....
بل إن " أدونيس " عثر بعد ذلك بسنة كاملة على شعرية في صورة برجي التجارة العالمية اللذين انهارا بفعل هجمات إرهابية عنيفة، وعلى الرغم من إدانته ذلك الإرهاب ورفضه تلك الجريمة، إلا أنني لا أستطيع نسيان أنه أردف قائلا أن ثمة شعرية في الصورة التلفزيونية لمشهد انهيار المبنيين جذبته وأثارت إعجابه، والعثور على قافية أو نبض أو حلم في صورة برجي التجارة العالمية لحظة اجتياحهما الصاعق، أو الظفر بما يثير أي لون من ألوان الإعجاب لدى انهيارهما المفزع، أمر بائس بما فيه الكفاية.
يستمد الرأي بؤسه من التجاور البغيض الذي يعيش وعثاءه الشرق أوسطيون بين خياري السلم والحرب، وكأن تجاورهما سمة وقدر، فإذا كان" أدونيس " يعيش أيضا آلام التجاور ولم يستطع النجاة بجلده من هذا الجحيم، ولم يتخلص من

حيرته وتردده بين طريقين للتغيير إلا مؤخرا، عندما قال: إننا مدعوون إلى النهل من " غاندي " وتجنب " غيفارا "، وعلى جناحي مقارنة ظالمة تنتفي موضوعيتها لأنها تنوء تحت ثقل تباين طرفيها الغريب، أفلا يجوز إذن أن ننظر بعينين متسامحتين إلى أبنائنا الذين تجلدهم الحيرة، عندما تقضّ مضاجعهم رؤى المستقبل الغامض، وتدفعهم إلى وسيلتين معروضتين خلف زجاج واحد هشّ وشفاف؟!

أقسى من ذلك، فإنّ المقارنة أغرت مؤيدي العنف فتسللوا إلى مخدع " أدونيس "، وصبوا بذاءاتهم على ملاءاته، ثم نثروا سمومهم تحت وسادته، ولقد قرأت لرشاد بو شاور مقالة يرفض فيها خيار" أدونيس " السلمي ويحضّه على تلمّس إنجازات الدم! لم لا؟ فقد وضع الشاعر والمفكر " غاندي " و" غيفارا " على محك الجدل والمناقشة والمقارنة، وليس بمقدوره أن يرفض النتائج المتضاربة، أو يعترض ضيوفه عندما يتخيرون ما يروق لمستويات آدميتهم!

" أدونيس " الذي تخسره نوبل عاما بعد عام، الشاعر والمفكّر يكشف أنّه اختار للتوّ، بعد لأي اختار، ولقد أنفق سنواته التي قاربت الثمانين في مقارنة محزنة مضنية. شعر ونثر ورؤى واستراتيجيا كونية، ولكنّه أخيرا قرر: " غاندي " لا " غيفارا "!...

لغاندي الروح العظمى أقدّم أرقى التحايا، ولأدونيس المفكر والشاعر أتقدّم بأصدق التهاني والتبريكات، وللأرض الطاعنة في السنّ أهدي عصا تسند ساقيها فالسنوات مضغت شبابها وتكاد تمرّغ شيخوختها ومشيبها في الوحل.

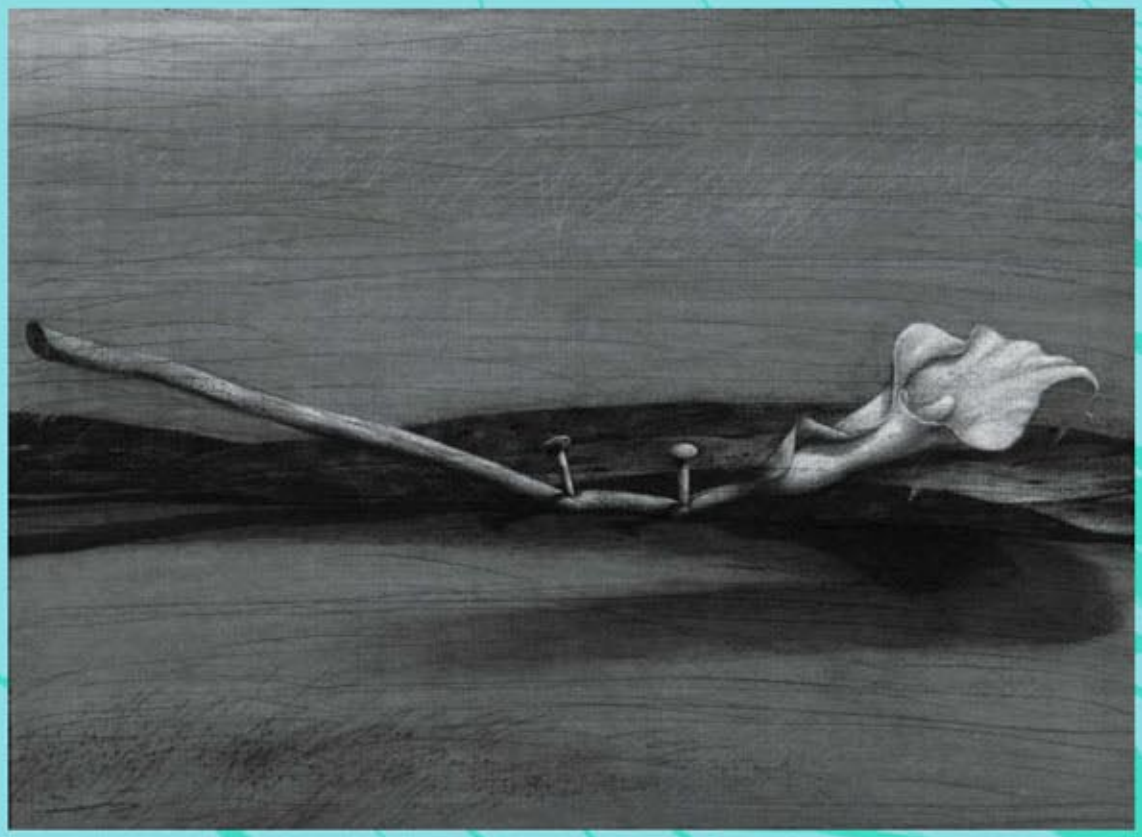

خربشات

ايلم فاضل

1

إغراء :
كل ما فيك يتلو
مبسملاً بالوجود, آيات الحياة
وأنا من شعب أضناه السعي نحو الحياة..

2

في مدينتي
تمر القذيفة قربي
لتوشم خدي بقبلة العجز
قبل أن تهطل موتاً فوق رؤوسهم..

3

معه ..
تختلج في الألوان روحٌ
فيغدو لكل لون حكاية..

4

لقُبل الصبح طعم الحياة
فارتشفها مبسملاً بخلود وله التفاح
صباحكم حياة ..

5

انتبه.. وأنت تشرب قهوتك
ثمة قبلة أودعتها على حافة فنجانك
تهمس لك: بكَ يحلو صباحي

6

أزنر خصري بالياسمين
وعلى إيقاع النبض
يتساقط الحنين..

7

حين ينطق اسمي ...
يرطب شفاهه بماء الورد
فيفوح اسمي جنوناً

8

كنْ لي ولو للحظات ..
أرهقني التأرجح على حافة الانتظار
أو دع

9

ما تبقى من الروح ينجرف إلى هاوية الانهيار..
موت ..
موت يغتال سوريا وحسب
ثلاثة حروف تجهض روح الوطن
" م و ت "

إيقاع حر

انا المرأة التي ستغادر الآن

سرى علوش

بيننا من الغضب الساكت ما يكفي لصنع كتاب, بيننا من الكتب ما يكفي لكي نعرف أننا في هدنة عاطفية مؤقتة, بيننا من الوقت ما يكفي لنحدد أننا يوماً ما سنفترق, بيننا من الفراق ما لا يمكن اختصاره بحادثة, بيننا من الحوادث ما يجعلنا نرتطم بالجدران التي تفصلنا كلما علا صوت الرعد قليلاً أو رمى العمر ذاكرتنا بحجر.

أنا تلك المرأة التي لا تعرفها, تلك المرأة التي لم تحاول استكشافها ولم تبرر نزقها؛ أخاف من الأخريات حولك ولا يخفن مني, أشعر بهن ولا يشعرن بوجودي, أتحدث عنهن ويتجاهلنني, أنا المرأة التي قصت شعرها بعد الزفاف وصبغته بلون مختلف كعادة كل النساء اللاتي يتزوجن وهكذا أصبحت على الضفة الأخرى من قلبك وتغيرت الأدوار. كل شيء أصبح محسوباً وبالغ الدقة؛ ساعات العمل, ساعات النوم, ساعات الجسد, ساعات الغرباء, ساعات الفراغ المقنّعة بكلمات الحب التي تقطع صمتنا وشرودنا بين الحين والآخر.

النساء الأخريات لا أستطيع تخيل وجوههن وأشكالهن, لا أميز ألوان بشرتهن, ولا أعرف ماذا يرتدين, أنا أتخيل وجودهن فحسب, وهن لم يرين قصة شعري الجديدة, وربما لم يسمعن عني سوى الأشياء التي تزعجك فيّ, كغيرتي الأنثوية التي لا تحبها, وبكائي الذي تكرهه وتصرخ فيّ بسببه, وما نختلف عليه فيقتلني أنا ويجعلك أنت تخرج من دائرتي الضيقة نحو حياتك الأخرى التي لا أفهمها ولم أدخلها, بل بقيت بالنسبة لي لغزاً عصياً على الفهم, وموجعاً باستحواذه عليك, وموجوداً بيننا بطبيعة الأحوال.

أشعر بالحنق كثيراً! كلما فكرت بكتابة نص جديد أتحدث فيه عن حبي الخرافي لك تأخذني التفاصيل الصغيرة بيننا إلى جهة أخرى, وأسلك طريقاً محفوفاً بخطر كرهك من كل الجهات. أصاب بارتجاج لغوي مفاجئ, وتدهسني الأشياء الناقصة بثقل رغبتي بها, تربط الذكريات جسدي الهزيل إلى شجرة ما وتشد ثاق قلبي إلى جذعها جيداً فتؤلمني أصابعي وأصبح عاجزة عن الاستمرار في الكتابة, أحاول أن أنادي عليك لتأخذني بين ذراعيك فتصبح حبالي الصوتية أسلاكاً شائكة حول خيبتي لا يمكنني عبورها عائدة إلى حيث بدأت. الحب مارد مخيف يخشانا أكثر مما نخشاه, فضيحة عاطفية قد تدمر سمعتنا إلى الأبد إذا لم نستطع كتمان مآسيها والحفاظ على عذرية أرواحنا فيها لتبقى صالحة للاستعمال, بيت مسكون بالأشباح قد تنتهي حياة أي منا داخله إذا لم نتصالح معهم ونكف عن أذيتهم بانتهاكنا المستمر لحرماتهم, أغنية من عصر مضى قد نتعثر ونقع أرضاً أو ربما نكسر أقدامنا ونحن نرقص على أنغامها إذا لم نحفظ لحنها جيداً. الحب خيانة موثقة لعهود السلام التي قطعناها على أنفسنا, وعدم وفاء مقصود لنذور البقاء سالمين أصحاء أبداً إذا نجونا من حبنا السابق ولم نمت من اليأس.

تخرج من نصي كحدث عابر, كتصادم كوني بين فكرتين, كجريمة لن تنال عقابها مادمت في قلبي؛ تخرج وأخرج بعدك على عجلة من الحب؛ فأنا لم أنه ما بدأته بعد. أتبعك إلى جسدك, تغلق الباب فلا أستطيع الدخول خلفك, وأكتفي بمراقبتك من الخارج. أرى وجهك نصف الدافئ مغطى بابتسامة دائمة لا لبس فيها, لا يكسرها حزن أو ألم مفاجئين, ولا يعريك منها إلا غضب عابر في حضوري يذهب معي ويتركك عالقاً في شرودك المعتاد. تنام بين معترضتين؛ مستقيماً كخط وحيد في صفحة بيضاء يفصل الأمس عن الغد في دفتر يومياتك الصغير, وتستيقظ بسهولة رجل لا يشعر بشيء ولا يزعجه شيء. تغسل الوطن العابس من سواد الليل ليخضرّ, وتخرج نحو النهار سالماً من كلماتي, معافى من شرّ الحب وشياطينه التعيسة, أترك لك الطريق والفراغ وأسرق ذكرياتك السيئة وأمضي للمرة الأولى بدونك.

أشتاق وأتعذب وأكاد أموت جلداً بسوط الذاكرة. أتذكرك في وحدتك التي أعرفها وأميزها جيداً مهما أحطت نفسك بالأصدقاء, أتذكر دفء ذراعيك في الصباحات الباردة حين كنت تعانقني ألف مرة قبل أن تغادر, أتذكر كفك التي ما كانت تترك كفي حتى وأنا أصنع لك قهوة المساء, أتذكر انتظارك المر طوال ساعات قبل أن يردك الله إلي راكضاً من فرط الشوق والشهوة, أتذكر أحلامنا معاً وكم كان مستحيلاً أن ننسى كيف وصلنا إلى هنا, أتذكر رغبتك الجامحة بوطن مختلف, وبكاءنا معاً على الشهداء, والموت الذي تقاسمناه لشهور طويلة, أتذكرك أنت حين كنت أنت, بجنونك بي, بلهفتك لتدفن رأسك في حضني وتدفن معه كل ما مضى من خوف أو موت أو ضياع, أتذكرك وحدك دون قسوتك وجبروتك قبل أن تنزح بقلبك إلى عتبات الغرباء وتنام على أرصفتهم هرباً من بنت لم تنم تنتظر وصولك.

أنا تلك البنت التي أصبحت امرأة في غفلة عن عمرها الذي قضته تعد الأحزان والذكريات والصور على أمل أن يصل الغد دون أن تنتبه مرة أنها تعد أيامها لا أكثر. أنا تلك البنت التي قصت شعرها وأطالته مرات عديدة لأجلك ولم تلحظ ذلك. أنا البنت التي كانت تريدك مرة أن ترى الملح الذي تركه الفراق على وجهها فأنكرت أنوثتها ورميتها في البحر.
أنا المرأة التي أحبتك وكسرت قلبها نصفيين متساويين؛ وأحدهما للفراق والآخر للانتظار.
وأنا ابنتك الصغيرة التي أفلتَ يدها في الصباح الباكر وأنت لا تعرف كم هو مؤلم يتم القلب..
وأنا أمك التي قضت الليل تنتظر سلامة غيابك ووحشة الرصيف الذي غادرته خطاك..
وأنا غجريتك التي حنت كفها للريح كي تعود بك ونشتاق للبلاد معاً..
وأنا شجرة السرو التي محى الدمع خضرتها وحنى ظهرها انتظارك لم تعد تقاوم اليباس وشحّ الحياة حولها..
وأنا الموت والصبر في كأس واحدة, لا نحب ولا نحلم, نفكر فقط كيف يمكن أن نعود إلى ما قبل الأمس بقليل ونتجنب الكارثة.. وأنا الغريبة بين ضدين لا يلتقيان سوى فيك..
وأنا امرأة الكثبان الرملية, أمشي على يدي لألحق بقدمي ولا أصلك أبداً..
وأنا غريزة البقاء التي يملكها عاشق مثلك ويبددها على حياة عابرة في وطن عابر..
أنا حبيبتك التي ستغادر الآن.. كي تعود إليها غداً..

لكن السقوط..بداية

د. صفوان ماضي

لنقل بأن القيح السياسي هو نتاج جرح أعظم اجتماعي وأن الصراع المتفجر على الأرض انعكاس لصراعات هويات ممزقة في داخلنا وديكتاتورية تلبس أجسادنا حين نعمل ترافقنا إلى المنزل وحتى الفراش..وطالما أن الفرصة الكونية ملائمة فلنعلن الثورة على أنفسنا..فلم نفشل سياسيا" فقط بل كان فشلنا إنسانيا" وعجزنا عن تطوير مجتمعاتنا وعلقنا فشلنا عل مشجب إسرائيل وثم الحكومة والآخرين والأقربين..فأين نحن في سلم السببية.

لذلك لن يكون الإصلاح باستبدال الأشخاص أو المجموعات..ولن يكون حتى بآليات الديمقراطية..بل بمبادئها..فالآليات الديمقراطية قد تأتي بأكثرية ظالمة قاهرة..بل يمكن تزويرها ..فاليبرق والكبة والمحشي (بالمنطق الحلبي)طيب لما في داخله ونكهته وليس لشكله الخارجي فحكومتنا تقدم لنا مجلس شعب له شكل يبرق محشو بالبراز..ولا نود طعاما" كهذا لأولادنا..وقبل أي ظهور لا معنى له لأكثرية أو أقلية يجب الإتفاق على الحشوة والنكهة وطعم الديمقراطية بمبادئ تتناسب مع بلدنا وإنسانيتنا:

فلا يجوز لأكثرية أو أقلية تجاوز كرامة منحنا الله إياها.

ولا يحق لأكثرية أو أقلية طمس اللوحة بلون واحد بل على الحديقة أن تحنوي وتحافظ على جميع الأزهار وحتى (الحيوانات المتوحشة)ولكن ضمن قفص العقد الإجتماعي الضامن لسلامة المجتمع والأفراد.

ومن الكرامة ينبثق العدل والحرية واحترام جميع الأديان والأشكال والألبسة

ويعتبر الإنسان بجميع احتياجاته هدفا" وإيديولوجية ..ثوروا على أنفسكم..ثوروا على الساسة القادمين قبل أن تحلو لهم القعدة.

لست سياسيا" ولا حقوقيا" لكن على الساسة والحقوقيين الإصطفاف أمامي لتلبية حقوقي..حقوقكم..حقوق أولادكم بوطن حر من الظلم.

ولم تفرز الساحة حتى الآن سياسيين من حجم هم الأمة فما يزالون يختلفون على نفس الجثة..والمطلوب هو وثيقة مبادئ لبداية جديدة..وليكن السقوط..بداية.

حب في زمن الثورة

طيباء شلهوب

كانت تعرف أن للحبّ في زمن الثورات نكهة الليمون ورائحة السنديان , شرط أن يكون الحبيب ثائراً له عتق النبيذ ..... وأن يعرف جيداً أن للثورة عشق يحمل بين أحشائه جاذبية وطن .أحسّت بضيق شديد , كان حبيبها بعيداً ولم تنسى ذاكرتها صوته الذي يرفعها إلى سماء ما , ولا ضحكته التي تبعث بها إلى إله لم يُعرف بعد . اتصلت به ودون تخطيط مُسبق لما تريد قوله , لكنّ لحن صوته أوحى لها فقالت : أغار من أجمل أنثى . أحسّت أنه تململ قليلاً ثم طلب التوضيح . قالت : من الفراشة ... إنها تطير .قال : كنت أراك مهرة.- كلا ..... فأنا لن أدع أحداً يمتلكني ويفخر بأصالتي .- والغزاله ؟ أجابت : لا ألْتَهِمُ ولا أُلْتَهَمْ . قال : الفراشة لعبةٌ للصغار .قالت : أغفر للصغار طفولتهم . فقط أغار من الفراشة , من حريتها و مناعتها ضد القفص والصيد والالتهام , أتفهم ؟ سابقاً كان الصمت جوابه , كان يعرف جيداً أن اللغة أحياناً تخرّب التعبير عن المشاعر . لكنه هذه المرة قال : وداعاً حبيبتي .الكلمة الأخيرة (حبيبتي) صعقتها , دمع غطّى عينيها , طارت لبرهة ثم سألته : ماذا قلت ؟بصوت هامس خجول غير مألوف بالنسبة لها قال : أنت حبيبتي ؟ صمت لبرهة ثم قال :لكني أحبّ الوطن أكثر ... أنا الآن مُتعب , سامحي أيامي . قالت : أحتاجك .أجابها بقسوة : انتظري فأنا الآن أتحوّل , سأزيل عني كلّ أدراني ثم أحبّك أكثر , انتظري حتى ننظف التراب من الدم , انتظري حتى ننتهي من حفر القبور . ولسوف تبقين حبيبتي حتى أودّع الحياة .قالت : سأحبّك بعد موتي أكثر .قاطعها قائلاً: أحتاج لغة على مقاس حبي .لبرهة طارت كطفلة يرميها والدها للأعلى فتشعر بلذة ما , لكن سقطتها كانت محطمة لكبرياء أنوثتها حين زارها الشك في إخلاصه ثمّ ما لبثت أن استدركت أنه خان حنينها إليه ,لكنه لم يخن روحَها ولا ثورته والوطن..... فأحبته أكثر .

مقارنة حلوة بين كندرة الزيدي وشحاطة حلب

من حيث الشكل حذاء الزيدي "كندرة" حذاء أبو حلب "شحاطة", و وفق تصنيف الاتحاد الدولي لصانعي الأحذية و مقره روما تعتبر الكندرة في مقام أرقى من الشحاطة وعليه الضرب بالشحاطة أكثر إهانة

– الزيدي شخص معروف وهو صحفي وقد اعتبر البعض استخدامه للحذاء فيه إساءة للمهنة وللأساليب المتبعة في الحوارات الصحفية, كما لا يمكن لأحد إنكار احتمال وجود ...أسباب ذاتيه وشخصية وراء ممارسة الزيدي لذلك النوع من الحوار, بينما أبو حلب ثائر من عامة الناس لا أحد يعرفه, ولا يمكن لأحد أن يدعي أن وراء ما قام به أسباب ذاتية أو شخصية

– حذاء الزيدي موجه من مؤسسة صحفية, حذاء أبو حلب موجه إلى مؤسسة صحفية

– كان أبو حلب أكثر تعبيرا إذ ترافق هجومه مع رسالة كلامية تبين أسباب الهجوم ومبرراته "الإعلام السوري كاذب" كما تبعث رسالة للعالم تقول أننا نملك لغة أخرى للحوار إلا أن نظام العصابات هذا لا يفهم بغير لغة الأحذية

– الزيدي كان محاط بوسائل الإعلام و يحظى بنوع من الحماية النسبية, أبو حلب محاط بالشبيحة والأمن و بدون أي حماية بل مهدد بحياته ومعرض كأي ثار للموت في ذات اللحظة

– الزيدي وجه حذائه _ بشكل ما _ إلى من منحه هكذا فرصة, أبو حلب لم يمنحه أحد فرصة, بل أنتزعها انتزاعا تحت وابل من الخطورة

– من الناحية الاقتصادية تفوق أبو حلب على الزيدي, حيث أهدر الزيدي فردتي كندرة غالية الثمن بينما استخدم أبو حلب شحاطة رخيصة

– تفوق أبو حلب على الزيدي من وجهة نظر بيئية, ففي حين استهلك الزيدي فردتي كندرة "استخدام لمرة واحدة", لم يستهلك أبو حلب فردة شحاطته واحتفظ بها كمنتج متعدد الاستخدامات وذو عمر تشغيلي مديد قابل للتدوير على أكثر من هدف

– من الناحية العسكرية القتالية ونظرا للبهلوانية الأمريكية إضافة لكون المالكي استمات ليضع رأسه في طريق الحذاء الطائر فقد فشل الزيدي بعد رمايتين في تحقيق إصابة مباشرة, بينما أصاب أبو حلب الهدف إصابة مباشرة بمحاولة وحيدة تاركا عليه بصمة واضحة من سلاحه السلمي الخفيف "يرجح أن شحاطته مصنوعة من الفوم الخفيف وليس من البلاستيك الثقيل"

– قام الزيدي بهجومه مستخدما سلاح غير تقليدي موجه عن بعد, بينما أعادنا أبو حلب إلى زمن الفروسية و المبارزة من خلال المواجهة و الاحتكاك المباشر مع الخصم

– من حيث النتيجة دخل الزيدي السجن ودخل حذائه البورصة العربية, بينما ظل أبو حلب منتعلا حذائه راكضا منطلقا بنشوة باتجاه الحرية

ماذا لو تأتين لبضع دقائقَ ؟

بضعُ دقائقَ
يكذبُ فيها الوقتُ
فيصبحُ هذا العالمُ أكثرَ صدقا
أكثرَ رفقا
حين يعدُ صباحا أخضرَ
لظلامي مثلي
بضعُ دقائقَ
أسقط
فيها
من حسبان الغربة عمدا
أحجزُ في عينيك الهادئتين
مكانا لا يسكنه العسكرُ
أو قطاعُ الطرق الماجورون
وأقطفُ حزمة وردٍ
للثوار
وأخرى للتذكار
وأهتفُ باسم المنكسرين جميعا
قد أتسولُ بعضَ الامل الطازج
للعشاق المطروحين
على طرقات الذكرى
قد يتسللُ ما يتسللُ من عينيك
فأعفى
من تسديد رسوم الحلم
ومن تأدية طقوس الحزن العاصف بي يوميا
بضعُ دقائقَ
أنسى فيها
كلَ سنى رسوبي في الجامعة
وكل سنى عذابي
أنسى أن ديونا ما تعتصمُ ببابي
أن على مفتتح الصبح القادم
ثمة ما سيهندسُ
بمحاذاة الحزن خطاي
وثمة ما سيضيفُ
إلى خارطة المطرودين طريدا
لم تمنحه الأرضُ مساحةَ أمل
أو زوجه السيرُ بمأوى
بضعُ دقائقَ يا سيدة الفضل
ستكفي جدا
لاستئصال الوجع
ولاستقصاء الليل عن الشرفات
ولاستمطار الشعر من المجهول
ولاستدراج مآربَ أخرى
ماذا لو تأتين لبضع دقائقَ ؟

حسن عامر

اكتشاف الحديقة

إلى كندة السوّادي

هكذا، كأنني للمرة الأولى أحبك
أو كأنني للمرة الأولى أحب
كأنني لم أكن أعرف أن الرافدين بقعٌ داكنةٌ على جسدي
وأنني كنت، طيلة الوقت، أتنافس معهما عليك!
وعندما صار جلدي أخضر
وظلّي
وثيابي خضراء
ولغتي
وشهوتي، حتى شهوتي صارت خضراء!
كنت أستغرب!
كأنني لم أكن أعرف نخيل العراق!

•••

هل قرأت عن ذلك الشخص الذي ينظر إلى الأشياء حتى يتصلب؟
كنت أنا ذلك الشخص: تصلبت وأنا أنظر إلى غيابك
وفي الحكايات ثمة من ينتظر حتى تبهت ألوانه ثم تزول
لشدة ما انتظرتك صرت، هكذا، بالأبيض والأسود
في غيابك
كأنك لم تغيبي
كنتِ كحقنة السّم تسرين في جسدي
كنتِ مثل ندبة تحت الجلد
لا أراها، وتوجعني
كنتُ كالوحش الجريح
لا يشفى ولا يموت
هكذا
فقدتك، دفعة واحدة، كسن يقلعه الطبيب
لو أنك طلبت من غيابك أن يصمت قليلاً
أن يتوقف عن الصخب
أن ينتزع فؤوسه ومعاوله من جسدي
لكنتُ، ربما، وضعته في أصص البيت
وربّيته، كما يربي القتيلُ، في الحكايات القديمة، قاتله

•••

في غيابك
كأنما كان أحد ما يخبئ حياتي
فكنت أعيش، هكذا، بلا حياة
كنت أجلس وحيداً ونائياً عني
أنظر إلى حياتي مرمية ككيس من الخردة
أنظر إليها ثقيلة بين أرجل الأطفال ككرة من القماش
أنظر إليها يتقاذفها الآخرون، ويبعدونها عنهم كأنها الطاعون
في غيابك بدا المشهد هكذا:
غابة وقد غزاها البرابرة!
جسدٌ عارٌ وقد سقطت أعضاؤه دفعة واحدة!
كاتدرائية من العصور الكبرى وقد تعرضت لزلزال!

•••

خضر الآغا

كيف لي، إذاً، أنني لم أكن أعرف
أن العشب الذي ينبت على جسدي كان في تربتك
أن أملاح جسمي من مائك
أن أظافرك عميقة، كل هذا، في لحمي
وصوتي يخرج من حنجرتك أنت
ولوني، ولون ثيابي، وخطواتي من بشرتك أنت
كأنك القاسم المشترك بين الأنهار

***

تذكرين
كم سخرت منهم عندما قالوا: الأنهار تشبه الناس؟
لم يكونوا يعرفون أنك أنت فقط تشبهين الفرات:
كلاكما ينتمي للماء
وكلاكما يقرّر لون البشرة

***

هل كان علي أن أسأل المارّة:
يا مارّة، هل تعرفون البنت العراقية التي ترتدي الرافدين،
وتحمل كيساً صغيراً؟
يا مارّة، داخل الكيس قلبي
وفي الرافدين أجعل من روحي قماشة وأغسلها

***

كان علي أن أوشمك على جسدي
كي لا تكوني إلا فيه
أو
كان علي أن أتأكد أن جسدي ليس إلا وشماً هو أنت

***

كان عليك أن تعلمي، منذ البداية، أنك الماء الأخير لسمكة صغيرة
هي قلبي

***

وها أنذا
بزهو الفاتحين في العصور الكبرى
استعدتك
مثل أعمى استعاد البصر
مثل مشلول استعاد الحركة
مثل من استعاد كلمة السر ليدخل إلى حياته
مثل من استعاد أصابعه ليتحسس العشب النابت، توّاً، على جسد الطبيعة
استعدتك كي تعودي، كما كنت، صوتي الفادح عندما أصمت

قصيدتان

قبل أن تذهب إلى الحرب

هناك جريمة ستحصلُ
بعد ساعتين
أيّها الجنديُّ الطيّب
الذي يبتسمُ ابتسامة بلهاء
أيها الجنديّ الحبيب
الذي ارتجلَ
خاتمَ حبّهِ
في إصبعي
أيها العَجول
انظرْ إليَّ
نظرة
وداع .

/

أريدُ منكَ طفلاً
قبّلني
قبل أن تذهبَ إلى الحرب
اغتصبني
كما يفعل الأعداءُ
في أرض كهذه الأرض
و كي أغفرَ لكْ
قُلْ لي
كلاماً عن الحب
و ليكن
طفلاً
يتيماً .

عارف حمزة

القشرة الرقيقة

عارف حمزة

أصبحتْ مثل مدحلة
فوق أعشابٍ يابسة
السماءُ
بحرارتها .
تحجّرِ
بزّاقُ رغباتنا
على الأسرّة
و الشرفات .
نشبهُ أشخاصاً مقيّدين إلى جدران الجحيم
ألا يوجدُ مَنْ يرأفُ بنا ؟
بمأزقنا الأبدي ؟ .
شخص ميّت ينامُ
بدلاً عنا في البيوت
بينما نتقلّبُ
نتأوّه
محترقين
في هذا الجحيم .
بخجلٍ نمشي في الشوارع
لأنّ الحرارة العالية
أذابتْ القشرة الرقيقة
التي كانت تغلّفُ برقاتِ آلامنا
و ضعفنا
و ضغائننا
و جهلنا بالحياة .
القشرةُ
التي كانت تمنعنا من الانتحار
ضاعتْ .
لذلك
تغيّرت خطوائنا
و تغيّرت مصائرنا
و الذين
كنّا
نكرههم
عرفوا
أنّنا
نكرههم ...

Şaneşînên Tirsê
Kolanên Poşmaniyê

ممالك الخوف
أزقّة الندم

Tirsa min ji wê tirsê
ku careke din bêriya te bikim
,îro , yan sibê
..yan piştî çileyekê
.....
,Û mîna careke berê
bi tevû sawêrên xwe yên şêlo
,û bayê vê dilbijîna neban , piştxwas, piştvekirî, piştsincirî, malwêran
.di guhê min de dike vîzevîz
,Bi tevû xwêya li ser eniya min şev lê geriyayî
xwêya havînên berteng
û bêhna kizîra tûtina min
,Bi tevû hemû razên kujer yên di pişta min de veşartî
,xwe vedizim nav nivîna kêliyên te yên aram
!...xewa te ya avzêl bişkînim
Û tirsa min ji wê tirsê
tu nema li wê bendê be
nejî li benda wê kêlîkê be
Lewma
her ku leylana te min vedixwînê
wê serpêhatiya kevnar
,xwe vedidzim nav damarên xwe
û ji parsiwa xwe ya şikestî
!...xwîn dirijim
.....
,Ya rastî
Ji tirsa ku careke din bêriya te bikim
!..nikarim te ji bîr bikim
Ne îro, ne sibê
!..Nejî piştî çileyekê

Kemal Necim
كمال نجم

مسير

أنا لا أسير على الدروب بلا رفيق
فالشمس تخترق الخطى
والليل يفترس المدى
والصبح مسجون بقمقم
والبحر ينتعل الشواطئ والطريق
أنا لا أسير على الدروب بلا رفيق
أنا لست أركب نجمة
حتى أطير الى الاله
ولست أعشق غيمة لا تستكين وتستقر
ولست أهوى
من سكون الليل
شيئا شدني إلا صداه
منذا يحج إلى المراعي خاشعا غير الذئاب
من طاف من حول المراعي
سبع أشواط وسلم واستتاب
لن يمضي في درب القطيع تلهفا
إلا الذئاب
أنا لا أسير على الدروب بلا رفيق
فالنعل أضناه المسير
واللب أثقله الغبار
والعين يبهرها انكسار الضوء في مرآتها
الدرب يعشق خطوتي
هذا التوحد بين نعلي والطريق حكاية
كفي تصارع وحدة حمقاء تسكنها
وعناكب اليأس الطويل
حاكت خيوط الوهن بين أصابعي
وجهي اعتلاه الاحمرار
حمّى الغروب
الآن أسكن في قلوب الناس متكئاً
على بيت القصيد
أنا لا أسير على الدروب بلا رفيق
يشكو إلي جروحه من شوك آلام الدروب
أشكو إليه مواجعي

محمد حاج بكري

آه.... تنغمها ابتهالات القلوب
حَن الأنين إلى لقاء الآه فارتسمت سطوري
وتوجعت كل الحروف تأنثت
في وسط مجتمع الذكور
أنا لا أسير على الدروب بلا رفيق
كل الأحبة غادروا
عبر النسائم في طريق النور
لكن لم يعودوا
كل الذين عرفتهم
ولدوا وتاهوا في تراتيل المخاض
وقطّعوا حبل المشيمة
مزقوا رحم الأمومة
وانتهوا
فوق الربابة قاعدين
يزنون بالنظرات منا
كيفما شاؤوا
ويغتصبون معنى الشعر والكلمات
أنا لا أسير على الدروب بلا رفيق
فغدا سيأتي الصيف
يحرق حرّه الأزهار في تلك الرياض
ستنشر الشمس العتيقة
في ربوع القرية الخضراء
ألوانا
وأطيافا
لموت القبلة الأولى على ثغر الرضيع
وأنا سأبقى
أولد الأشعار..... أنسجها
أكفن ما مضى منها
لعلي أجعل الأحلام تسكن حضرتي
تبني جنودا من عسل
وتعيد أفراح القبل
ويزول عهدك يا هبل
فالعاشقون هواهمُ
يرقى على الأرباب في كل القرون
لا رب يمنحني الهوى
فيدي تخط شريعتي
في الشعر أو في العشق
فيما شئت من بوح رقيق
أنا لا أسير على الدروب بلا رفيق

المرثيّة الناقصة
(حيثُ لا أحد)

- هنا..
كلّ الأشياء فقدت أقدامها
وحدهُ الدم يجري
بأقدام كثيرة.
.....
أيتها الكائنات الكفيفة
أيتها القلوبُ الشقيّة
ما الذي تقولهُ الأشجارُ لوحشة الطريق؟
ما الذي تقولهُ الريحُ على القارعة؟
وحده الدمُ..
وحدهُ.

- الأشجارُ دونَ أوراق
في هذهِ الغابةِ،
الأشجارُ لم تتساقط أوراقها
بسببِ ضربةِ شمس
أو معول خريفٍ غادر،
الأشجارُ العارية تماماً
حتى من البراعم،
الأشجارُ الهرمة
وهي في عزّ ربيعها،
الأشجارُ
الأشجارُ...
وحدهُ الحطابُ الثملُ
كخفاش أعرج
في ليل هذا العالم.

- لم تعد العصافير تصدحُ
ثمة موسيقى صامتة
يحاول الجميع أن يتقنها،
في الفجر ينتحرُ أول عصفور
وهكذا
هكذا..

عماد الدين موسى

ريثما تكتمل السيمفونية الأخيرة،
ريثما ينتهي الرصاصُ
من عدّ أصابع هذا العالم،
ريثما ننتهي
كآخر عصفور صامت.

- لمن هذه الكلابُ؟
لمن هذا العواءُ الجارحُ؟
لمن هذه العظامُ؟
والقطةُ التي تموءُ وحيدة في بردِ شباطها القارس
لمن؟
لمن؟.

- بسببٍ أو بلا سببٍ
سيفقدُ أحدنا الآخر،
بسببٍ أو بلا سببٍ
وبالكلمات ذاتها
سيرثي أحدنا الآخر،
بسببٍ أو بلا سببٍ
لن يصغي أحدنا إلى الآخر،
بسببٍ أو بلا سببٍ
سيذهب أحدنا ليبحث عن الآخر،
بسببٍ أو بلا سببٍ
سيتذكر أحدنا الآخر
ولأجل هذا "الآخر" سيذرف "أحدنا" الكثير من الدم،

لذلك
وبسببٍ
أو
بلا سبب
سيكتفي أحدنا بوحدته
ريثما تكتمل المرثية الناقصة..

المرثية
التي
لن تكتمل أبداً.

أنا أدرى بنومةِ الغزال

نسرين الطرابلسي

من نسرين إلى فضيلة شامي ..

اتركوه لي
أنا أدرى بنومةِ الغزال
حين كان سمكةً
كنت له بحيرة
وحين صار قمراً
صرتُ له سماء
يلمس خدي
وينظر في عيني
فأعده بأنني لن أتركه وحيداً
في هذا الليل

لم أكن حينها هرمة إلى هذا الحد
وإذا صمتُّ عن الغناء
يبكي
وعلى كتفي يغفو ويتقلّبُ
كأنني سريرٌ
أو غيمة
أو دراجةٌ جديدة

أنا أدرى بدروبه
وبساعةِ عودته
لي وحدي كان يعتذرُ إن تأخر
ولي وحدي كان يقول
يا أجملَ النساء
ويكذبُ
وأمام بيتها يشرُدُ
ويتمهّل

رافقته إلى روضة الأطفال
وقلت له: الرجالُ لا يبكون يا بطل
وإلى أبعد مفترق يودي إلى روضة الله
أحملك في أحشائي
تتوسد قلبي
وأبكي لأنني قلت لك آخر مرة:
كبرتَ على حضني يا ولد
وها أنا محاطةٌ برجال يبكون
أسعفهم بكتفي
كي تغفو
فأنا أدرى براحتك

قصة قصيرة

تراها/ها منهم!!؟

غفران طحّان

"بي حاجة لتسريب كلماتي المختنقة..بي حاجة لنبذ بياض الورق الذي عاهدت نفسي أن أسكنه..ثمّة ألف صرخة تخترق همسات قلمي البائس، وتدفعه للرقص حبراً وكلمات على حافة ورقة تشكو شحوبها.."

أيّ لعنة هذه التي عادت بي إلى اجتراح جريمة الكتابة..تراها هلوسات تلك المرأة الغريبة التي قرأت لي الفنجان أعادتني..كانت تبحلق في الفنجان، وكأنّها تفتش فيه عن ذرات حروف سقطت مني..وتقول: ذاك البياض سيولّد حلمه مجدداً..ماذا تعرف عنّي تلك المرأة لتقول ما قالت..!!؟ تراها" منهم!!"

كلّ ما تذكره ذاكرتي أنني بعد أن خرجت من ظلام عيونهم قررت أن أعتزل الحلم، وأمضي في واقعي كأيّ فتاة عاديّة، ويكفي ما أصابني إلى الآن!!

والدي بقي فترةً لا يتحدّث إليّ..ومازال يمرّ بالحارة مطأطئ الرأس، خشية عيون تسأله عن سبب اقتيادهم لي ذلك ليل، وأمّي أصيبت من وقتها بالسكري، ومنعت من ممارسة عاداتها اليوميّة في تناول الحلوى كلّ صباح، وأخي ظلّ يردد أيّ عار هو أنت..وصديقاتي بتن يتحاشين الاتصال بي أو حتى الحديث إليّ لأنني قد أسبب لهم الشبهة!

أذكر أنني عندما عدت من هناك، مزّقت كلّ أوراقي، ونسفت تاريخ الحلم الذي كنت أرتّب روحي من أجله، فلا حاجة لي بحلم يشوّه واقعي البائس!!

صرت كلّما مضيت إلى عملي أمشي على حذر..وأتكلّم بصوت منخفض أنا التي كنت أجادل سائق سيارة الأجرة على بعض ليرات زائدة قد يسحبها مني..أمّا أصدقائي وصديقاتي في العمل، فمازالوا منذ ذلك الغياب يبحثون عن السبب، ويتبارون في المراهنات التي كانت خاسرة دائماً..فمن يصدّق أنّ ما حدث كان سيحدث لأنثى مثلي!!

"""

عندما جاءت تلك المرأة اليوم إلى المؤسسة التي أعمل فيها، وراحت تبحث لها عن فريسة، لم تجد غيري أنثى يسكنها الصمت، فكلّ صديقاتي مددن لها وريقات نقديّة، وفناجين قهوة احتالوا عليها لجعلها تمتلئ بالرسومات المبهمة، بل إنّ"أبو مستو" المستخدم في المؤسسة تعمّد، وبطلب من سكرتيرة المدير"سلوى" أن تكون القهوة متماسكةً تستطيع خطّ مستقبل ما على حواف الفنجان، وأظنّها قد أجزلت له العطاء، فقط كانت القهوة اليوم لذيذة جداً، وعلى الرغم من كلّ محاولات الفتيات اللواتي اجتمعن حول المرأة تلك بأن تكون إحداهنّ أوّل من يقرأ لها الفنجان، جلست تلك المرأة بالقرب مني، وقالت:"هاته فنجانك، ففي عينيك ما يغري بالقراءة.."

وبرجفة رشفت آخر بلل يسكن الفنجان، وأعطيتها إياه، فقامت بتدويره عدّة مرات، ثمّ قلبته على وجهه، وتركته قليلاً، وهي تبحلق في، تشاغلت عنها، وعن عيون صديقاتي بمتابعة عملي، غير آبهةٍ بتأفف الصديقات، وحسد الأخريات، رفعت تلك المرأة الفنجان إليها، وراحت تتطلّع إليه، بل وتتلوه بصمت!!

ثمّ رشقت هوائي بصوتها الأجش"مابالك يا صبيّة..لا تبتئسي هكذا..ذاك البياض سيولّد حلمه مجدداً"، ضحكت بتصنّع لقولها، ورميت في حجرها وريقات نقديّة، وأكملت عملي غير آبهةٍ بنظرات من حولي، وثرثرات تلك المرأة، وكلّ ما يشغلني هاجس لم يفارقني من تلك الليلة المشؤومة.."يا إلهي..تراها منهم!!"

""

ركبت أوّل سيارة أجرة وجدتها أمام المؤسسة، وأقفلت هاتفي الجوال عندما بدأت زميلتي"حلا" بالاتصال للثرثرة حول ما جرى معنا اليوم، إنّها فضوليّة جداً، ورأسي لا يكاد يحتمل كلمةً اليوم، فاليوم بالذات آخر لقاء لي"بهم"، وعليّ أن أعدّ التقرير الأخير لهم، لا أعلم ماذا أكتب لهم، وقد بدأت شلالات الاعتذار عما حدث تتدفق من ألسنتهم وعيونهم، ولكن هل يشفع الاعتذار ذاك الكم الهائل من الأسى الذي أصابني، وأصاب من حولي لمجرد شكوك بخربشاتي!!

الزحمة في الطريق مملة، ونظرات سائق الأجرة مريبة"تراه منهم"، ولكنه يبتسم لي بطريقة ساذجة، ويمرر يده على شعره الأشعث بشكل يدعو للضحك، وضعت نظارتي السوداء على عيوني لأتجنب التقاء عيوننا.

عندما وصلنا إلى مكان قريب من بيتي، وبدأت الزحمة تزيد، أخبرته بأن يقف، لأكمل طريقي سيراً، فردد بصوت يائس:"ولكنك لم تصلي إلى المكان الذي أخبرتني عنه"، وضعت له في كفّة أكثر مما يستحق، وتجاهلت كلامه، ومضيت أتنفس الهواء المزوج بلسعة برد، وفوضى الازدحام، فجأة لمحت أحدهم يمشي خلف خطوتي، بل ويتعمد المرور على ذات الخط، أجفلت روحي، وبدأت رعشة الخوف تعلوني مجدداً، ورحت أقول لنفسي بخوف:"تراه منهم أرسلوه لتتبع خطاي!!"

قصة قصيرة

نظرت إلى ساعتي، كان الوقت قد قارب المغرب، ولم يبق على موعدي الكثير، عليّ الإسراع، ولكن سأنظر خلفي لأتأكد من شخصيّة ذاك الذي يتبعني، وإذ بفتاة صغيرة تسير على خطوتي تجنباً للزحام، ابتسمت لها، وأشرت إليها بأنني سأقطع الشارع، فمشت معي لتجاوزه، وابتسمت لي شاكرة.

أسرعت الخطو اتجاه بيتي، كان الشارع ينساب هبوطاً، لذلك كنت أشعر بأنني بين لحظة وأخرى سأقع، فهذا الحذاء ذو الكعب العالي لا يناسبني، ولم أعتد عليه، ولكنني منذ تلك الحادثة، وأنا أحاول أن أجعلني أخرى حتى في الشكل واللباس!!

وصلت لباب البناء أخيراً، ولكنّ جارنا صاحب محل الألبسة كان يرقبني، نظراته مريبة، وذلك الافتعال لحركة اليد في ملامسة الذقن يدعو للتساؤل عمّا يحمله لي"تراه منهم"، ولكنه يفعل هذا منذ شرائه لهذا المتجر!!

""

"بي حاجة لكتابة أشياء لم يطلبوها، بي حاجة لأخط حلمي مجدداً خارج نطاق طلباتهم، بي حاجة لنسيان ذاكرة الخوف التي سكنتني لحظة وقوفي أمامهم متهمة..."

أيّ جرأة تريد أن تغتالني الآن، وأنا على مرمى ساعة من موعدي الأخير، أبي في الخارج يذكرني، ويعلن استعداده للذهاب إلى ذلك المكان، ويثرثر بنفس الكلمات التي اعتدتها منه"كان عليّ أن أزوجك لأنتهي من همومك ومشاكلك"، وأمّي تحاول تهدئته بألاّ يضغط عليّ أكثر، وبأن الأمر بات وشيك النهاية.

أحضرت لي القهوة، وضعتها بالقرب مني، وقالت:" أنه ما أنت تكتبينه على عجل، وهيا لتذهبي، وتنتهي من هذه اللحظات المزعجة" قبّلتها بحرارة، وجلست لأكتب ما طلبوه مني، ماذا سأكتب:" التقرير لهذا اليوم"

" كلّ من حولي بات يشبهكم، إنني أشكّ حتى بي من يوم مروركم في حياتي قبحا! قارئة الفنجان البائسة، أظنّها منكم، سائق الأجرة، الفتاة الصغيرة، جارنا، المستخدم، وربمّا حلا صديقتي..بتّ لا أعرفني بعدكم..بت لا أذكر إلا تقاريركم عني، والكم الهائل من الأوراق، ولحظات الانتظار البائس، وغيوم الشكّ في عيونكم، ودموع الخيبة في عيون أبي..!!

أنا يا سادتي لا أقبل اعتذاركم فهو لن يعيد لروحي سكنها، أنا لن أقبل هداياكم، فأنا لم أهدف إليها يوماً..أحتاج أن أعيد لحظات سكينتي، هويتي، حريتي..لأكون كما كنت..ولا يكون كلّ من يمرّ بي موضع شكّ بأنّه منكم ..لذا لقد قررت أن .....!!"

"""

على البوابة رفضت أن أغلق هاتفي الجوال، وأحجمت عن تمرير بطاقتي الشخصيّة لهم، ومضيت إلى باب رسمت عليه حروف لا معنى لها، دلفت إلى غرفة الاستجواب للمرة..ربمّا لن تكون الأخيرة!!

إيقاع الومضة

أميرة أبو الحسن

لم تعد كلمة "الطائفية" مجرد تعبير عن الطائفة الدينية التي ينتمي إليها أي إنسان، بل تطورت لتصبح فكراً يحكم الجزء الكبير من العقل والسلوك. تماماً كما لم تعد صفة "السلفي" محصورة بمذهب واحد وأصبحت تجدها في كافة الأديان والمذاهب والملل.

حتى فيما يخص رأيك ومدى صحته واستماتتك أحياناً للدفاع عنه ومدى قبولك لما هو مختلف عنك، بإمكانك أن تكون طائفياً وسلفياً.

الهيمنة الطائفية لا تولّد إلا وجعا طائفيا, ولا يمكن القضاء على هذا الوجع الا بالقضاء على هذه الهيمنة و كل هيمنة أخرى بديلة. ولا يكون علاجه بالتحايل الشعري و احلال كلمات مكان كلمات, كما لا يكون بإحلال هيمنة طائفة "عادلة" مكان هيمنة طائفة "ظالمة" طالما أنه لاتوجد طائفة مبروكة بحد ذاتها و طائفة أخرى ملعونة بحد ذاتها.

مصطفى الجرف

انتبهْ:

× كلّما لوّثتَ فمك بالكلام الطائفي, لوّثتَ أيدي سواك بالدمِ.

× كلّما طالبتَ بالثأر الطائفيّ, جززتَ رقبةَ طفلٍ, أو بقرتَ بطن امرأة.

× قبل أن تدعو إلى الثأر الطائفيّ, تذكّر أنك ارتجفتَ من مشهد المذبحة.

×ثمنُ الكلمة الطائفية قتلُ أخيك أو اغتصاب أختك الآن أو غداً.

×مشهد المذبحة يدعوك إلى ألاّ تكون وحشاً أو مجرماً أو داعية دماء.

×اختر مستقبل السلام السوري لا مستقبل المذابح الوحشية.

والمجد للشعب السوري .

سعد الدين كليب

بناء دولة القانون في سوريا

د. نائل جرجس

يُعتبر تغييب دولة القانون في سوريا أحد أهم أسباب تردي الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فضلا عن الانتهاكات المستمرة لحقوق الإنسان من طرف النظام السوري الذي عمل بكافة الوسائل على تقويض مبدأ سيادة القانون من أجل تمكينه من السلطة بل وسخّر القانون نفسه كما السلطة القضائية لخدمته واستمراره.

واليوم بعد أن انتفض الشعب السوري على عقود من القمع والانتهاكات المستمرة لحريته وكرامته، بدأت الأصوات تتعالى من أجل الإصلاح في سوريا في خلاف مع المطالبين بالتغيير، إلا أنّه من الواضح بأنّ الإصلاح هو مرادف للتغيير فالتحقيق الفعلي لأيا منهما يؤدي حتما إلى تفكيك منظومة الاستبداد والبدء بإرساء دعائم دولة ديمقراطية مدنية أو ما يُعرف باسم دولة القانون، ولتحقيق هذا الأمر لابدّ من المباشرة بخطوتين رئيسيتين :

أولا: الإصلاح القانوني الذي يُعتبر الركيزة الأساسية لأي إصلاح سياسي واقتصادي، وهذا الإصلاح يكون بداية بإلغاء كافة التشريعات القانونية المقيدة للحريات والمكرسة للتمييز بين أبناء الوطن الواحد ومن ثم إصدار قوانين عصرية حديثة منسجمة مع المنظومة الدولية لحقوق الإنسان وبالتالي خالية من أية هيمنة أمنية أو إيديولوجية. وأعتقد هنا بأنّ البداية يجب أن تكون بإعادة صياغة الدستور السوري ولاسيما مواده القامعة للحريات والمنتهكة لمبدأ فصل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية والمكرسة لأيدلوجية الحزب الواحد.

فلهذا التعديل الدستوري أثر هام على استصدار القوانين التي يجب أن تنسجم مع الدستور بوصفه القانون الأسمى. كما يجب أن يترافق تعديل الدستور مع إعادة هيكلة المحكمة الدستورية العليا بما يؤدي إلى وقف تدخل السلطة التنفيذية بعملها واختيار قضاتها وكذلك تسهيل إجراءات تحريكها بما يسمح لها بيسر من مراقبة احترام أحكام الدستور الجديد وخاصة دستورية مشاريع القوانين والقوانين النافذة.

ثانيا: إنّ الإصلاح القانوني المذكور أعلاه يبقى فارغ المضمون ولا قيمة له ما لم يتم تعزيز الرقابة على احترام النصوص القانونية ووقف الانتهاكات المستمرة لها من طرف السلطات الحكومية. فعلى سبيل المثال رفع حالة الطوارئ في الفترة الأخيرة لم يترافق مع التطبيق الفعلي لقرار الرفع هذا بل على العكس زادت الأجهزة الأمنية من انتهاكاتها المعهودة للقوانين النافذة كالاعتقالات التعسفية بدون أمر قضائي وممارسة التعذيب في خرق واضح للمادة 28 من الدستور السوري والمادة 391 من قانون العقوبات السوري. وبذلك فإنّ استصدار القوانين المختلفة الأخيرة والعمل على مشاريع قوانين يبقى عديم القيمة طالما أنه لم يترافق بالآليات الضرورية لتنفيذ هذه القوانين وتطبيقها على الجميع دون استثناء. هذا ولم يتبين حتى الآن أية نية حقيقية للسلطات بالتقيد بتطبيق القوانين وخير مثال ذلك عدم محاسبة مرتكبي الانتهاكات الجسيمة للقوانين في الآونة الأخيرة بل أيضا الاستمرار بارتكاب هذه الانتهاكات. فما قيمة قانون الانتخابات مثلا إن كانت هذه الأخيرة ستترافق بما عهدناه من تزوير وتلاعب، وأية فائدة لنصوص قانون الإعلام التي تكفل حرية التعبير فيما يستمر الاعتقال التعسفي للناشطين والكتّاب، بالإضافة إلى تقييد عمل وسائل الإعلام.

بالتأكيد إنّ البدء بخطوات عملية لتحقيق ما أشرنا إليه أعلاه يمكن أن يتم عن طريق الحوار، بوصفه إحدى وسائل النضال السلمية من أجل تحقيق الديمقراطية وكذلك المساهمة في حقن دماء السوريين، ولكن لابدّ من أجل المباشرة بهذا الحوار من توفير المناخ الملائم. هذا الأخير يتمثل بإطلاق سراح معتقلي الرأي والضمير والكف عن حملات الاعتقال وإطلاق الرصاص الحي على المتظاهرين السلميين والسماح مباشرة بإجراء رقابة قضائية وحقوقية على أماكن الاعتقال، فضلا عن المطالب الأخرى التي أعربت عنها القوى الوطنية المعارضة في سوريا.

أمّا إذا كانت غاية السلطات الحكومية من هذا الحوار كسب الوقت وبعض التأييد الدولي والداخلي من أجل محاولة قمع الاحتجاجات السلمية، فنقول لها بأنها مخطئة فسوريا لن تعود لما قبل 15 آذار ولن تنفع القبضة الأمنية بعد اليوم في تركيع سوريا وشعبها. وفي هذا الصدد يتحمّل النظام الحالي المسؤولية الكاملة عن استمراره بالحل الأمني، الذي أثبت فشله، وبالتالي التأخر عن اتخاذ الخطوات المطلوبة لبدء حوار وطني حقيقي. إنّ هذه المماطلة غير المقبولة من طرف النظام السوري ستزيده عزلة وتُسهم في تغييره كما يمكن أن تؤجج الأوضاع إلى مرحلة كارثية على جميع المواطنين الذين سيتحملون القسط الأكبر من المعاناة ولكن بنفس الوقت ستؤدي حتما إلى اجتثاث النظام

الوجه الآخر للربيع العربي

توماس فريدمان
نيويورك تايمز 7\4\2012

ترجمة نبيل نبو

اليس مثيراً للإنتباه أنّ اليقظة العربية بدأت من تونس عندما اعتدت الشرطة على بائع فاكهة غير مرخص, في وقت سجلت فيه المواد الغذائية أعلى ارتفاع لها؟ و أنّ الأمر في سوريا بدأ بمطالبة مزارعي قرية, جنوبي مدينة درعا بإلغاء الموافقة الأمنية المفروضة لضبط بيع و شراء الأراضي المتاخمة للحدود؟ و أنه في اليمن – البلد الأكثر عرضة لنفاذ المياه – أثير الأمر من خلال لائحة من الشكاوي المتعلقة بحفر المسؤولين لآبار في أفنية منازلهم و التي قُدمت لحكومة غير شرعية كان عليها الحد من ممارسات كهذه؟ هذا و قد أفاد عبد السلام الرزاز – وزير الري في الحكومة اليمنية الجديدة – لرويترز الأسبوع المنصرم : "عموما وعلى مدى السنين.. أكثر الناس عبثا بالمياه باليمن هم النافذون.. ومن أكثر الناس الذين يقومون بالحفر العشوائي... كل وزير كان لديه بير في منزله أو.. مش كل وزير.. بس معظمهم.."

فالنزاعات على الأرض و الماء و الغذاء تبينّ لنا أنّ اليقظة العربية ليست نتيجة لضغوط سياسية و اقتصادية فحسب وإنما هي ناتجة عن ضغوطات بيئية وسكانية ومناخية أيضاً. و قد يؤدي إهمالها إلى العجز عن المساعدة على إعادة الاستقرار لهذه المجتمعات.

ففي سوريا كتب كل من فرانشيسكو فاميا وكاتلين ويريل في تقريرهما لصالح مركز الأرصاد والأمن في واشنطن أنّ "السبب المباشر للاضطرابات الاجتماعية في سوريا هي رد فعل على نظام وحشي ومعزول دولياً, ومع ذلك، تبدو القصة ناقصة. فقد شهدت السنوات القليلة الماضية عددا من التغييرات الهامة الاجتماعية والاقتصادية والبيئية والمناخية في سورية ادت الي تآكل العقد الاجتماعي بين الحاكم ومحكوميه. ... فإذا كان المجتمع الدولي وصناع القرار السياسي في سوريا بصدد معالجة وحل اسباب الاضطرابات في البلاد، فإنه من الافضل استكشاف هذه التغييرات ".

منذ الشهر 11 من العام 2006 تعاني حوالي 60% من الأراضي السورية من الجفاف وتلف المحاصيل. ووفقا لدراسة خاصة من تقرير العام الماضي بشأن الحد من مخاطر الكوارث "لقد عانى حوالي 75% من السوريين المعتمدين على الزراعة, خاصة في مدينة الحسكة, من انخفاض المحصول الزراعي. كما فقد الرعاة – والمقدرين 1.3 مليون– حوالي 85% من ماشيتهم." و أفاد تقرير للأمم المتحدة أن "حوالي 800000 شخص فقدوا عملهم الأمر الذي أجبر العديد منهم على الهجرة إلى المدن سعيا للرزق, أضف إلى ذلك الأعباء المترتبة على تلك الحكومة العاجزة."

و يضيف فيميا "إذا بقيت التوقعات المناخية على وضعها الراهن فإن الجفاف سوف يزداد في شمال افريقيا والشرق الأوسط عاما بعد الآخر, عندها سنشهد حالة عدم استقرار قد تكون حافزا لمزيد من الاستبداد في المستقبل. هنا على الولايات المتحدة تحمل مسؤوليتها التاريخية من خلال أولا: دعم الحركات الديمقراطية. ثانيا: التحري عن البنى التحتية للتكيّف المناخي وترشيد المياه. الأمر الذي يجعل هذه البلدان أكثر مرونة في عصر التغييرات المناخية المدمرة.

كما أشار تقريرالإدارة القومية الأمريكية للبحار والغلاف الجوي– المنشور في اكتوبر الماضي في مجلة المناخ والذي عُرِض على رابط جو روم– إلى ازدياد موجات الجفاف شتاءاً في الشرق الأوسط و إنّ الإنسان هو المسؤول عنها جزئياً.

هنا يشير مارتن هاورلينغ منمختبر الابحاث حول الكرة الارضية في الوكالة الوطنية للبحار والغلاف الجوي أنّ "حجم وتواتر الجفاف الذي حدث كبير جداً ولا يمكن تفسيره من خلال التقلبات الطبيعية وحدها. هذه ليست أنباء مشجعة لمنطقة تعاني من ندرة المياه مما يعني أنه من غير المرجّح أن يعود المناخ في المنطقة لوضعه الطبيعي."

وقد بيّين نافذ مصدق أحمد المدير التنفيذي لمعهد أبحاث السياسات والتنمية في لندن في مقال نشره بجريدة ستار بيروت اليومية " تضم المنطقة اثني عشر بلداً من أصل الخمسة عشر بلداً الأكثر معاناة من ندرة المياه على مستوى العالم ـ الجزائر وليبيا وتونس والأردن وقطر والمملكة العربية السعودية واليمن وعمان والإمارات العربية المتحدة والكويت والبحرين وإسرائيل وفلسطين .... ولقد توقعت وزارة الدفاع في المملكة المتحدة أن يرتفع عدد سكان منطقة الشرق الأوسط بنسبة 132% بحلول عام 2030، وأن يرتفع عدد سكان البلدان الواقعة إلى الجنوب من الصحراء الكبرى في أفريقيا بنسبة 81% بحلول نفس العام، وهو ما من شأنه أن يولد "طفرة شباب" غير مسبوقة."

أخيراً علينا جميعا ان نتذكر مقولة ليون تروتسكي: "قد لا تكون مهتما بالحرب، ولكن الحرب مهتمة بك" و قد لا تكون مهتماً بتغير المناخ، ولكن تغير المناخ يهتم بك.

هذه ليست خدعة. نحن والعرب بحاجة لاكتشاف المزيد من الطرق – وبسرعة – للدخول في شراكة للتخفيف من التهديدات البيئية قدر ما استطعنا. فبعد عشرين عاماً من الآن، قد يكون هذا الأمر شغلنا الشاغل.

يوسف عبدلكي

يوسف عبدلكي فنان تشكيلي سوري ولد في القامشلي / سوريا عام 1951 وحصل على إجازة من كلية الفنون الجميلة بدمشق عام 1976 و على دبلوم حفر من المدرسة الوطنية العليا للفنون الجميلة في باريس عام 1986 ثم الدكتوراه من جامعة باريس الثامنة عام 1989 .
أقام أول معارضه الفردية عام 1973 في دمشق ، كما أقام العديد من المعارض في تونس والقاهرة والأردن وبيروت والشارقة ودبي...، ويقتني المتحف البريطاني (The British Museum) في لندن أربعة أعمال له (عملين من عام 1993 وعملين من عام 2004)ومتحف معهد العالم العربي (Institut Monde Arabe) في باريس عملين(1990 و1995) ومتحف دينه لي باين (Digne-Les-Bains Museum) بفرنسا عملين من عام 1986 كما يقتني متحف الكويت الوطني أربعة من أعماله (2004) في حين يقتني متحف عمان للفن الحديث عملاً من أعماله الفنية (من عام 2003)
بدأ عمله في الكاريكاتير منذ سنة 1966م، وكان ذلك بتشجيع من والده الذي أحب العمل السياسي كذلك رسم للأطفال في كتب للأطفال وفي مجلات للأطفال وشارك في عدة تظاهرات للرسوم الكاريكاتورية.
غادر دمشق إلى باريس وفي جعبته إجازة كلية الفنون الجميلة بدمشق ، واكمل هناك علومه في الفن و حصل على دبلوماً في الحفر من المدرسة الوطنية العليا للفنون بباريس، وأتبعه بدكتوراه في الفنون التشكيلية من جامعة باريس الثامنة .
يعد يوسف عبدلكي اليوم من أشهر فناني الحفر العرب، وأبرز فناني الغرافيك وتصميم الملصقات والأغلفة، والشعارات، كما يعدّ من الفنانين المهمين في مجال الكاريكاتير كما صدرت له عدة دراسات في الكاريكاتير العربي.
يوسف عبدلكي اسم كبير في عالم الفن التشكيلي السوري والعالمي. كان ولازال ثورياً متمرداً في فكره وفنه.إن اختلفت مع آراءه أو اتفقت إلا انك لا تستطيع إلا أن تحترم و بعمق حسه الوطني و صدقه الفكري الذي تجسد في أعمال قدّرها الغرب و الشرق !
ميوله السياسية اليسارية أثرت على طبيعة أعماله و لكنه لم يدع هذه الميول تقيد فنه وتجرفه إلى قوالب الايدولوجيا الجاهزة فعرف كيف يبقى وفياً للواقع من جهة و ان يطلق لفنه حرية الاستكشاف دون السقوط في هاوية الفن من اجل الفن من جهة أخرى .
نشأ في أسرة تعشق الفن والإبداع والسياسة والبحث عن اللا مألوف , والده كان كذلك و ابن عمه الأكبر المعماري يوسف عبدلكي هو الآخر من عمالقة فن العمارة الحديث في سوريا و كبير مصممي مسجد الشيخ زايد الشهير في ابو ظبي.
يقول الناقد علي الكردي إن أعمال يوسف عبدلكي الغرافيكية تستعصي على القراءة، وعلى الرغم من ذلك فهي أعمال تستفز المشاهد، وتحرضه على مغامرة الخوض في غمار سياقاتها، وتركيباتها، وعناصرها المكوّنة التي تنهض على لغة بصرية، تعلن منذ البداية تفرّد صاحبها، وتميّز تجربته الإبداعية التي حفرت مسارها على مدار أكثر من ثلاثين عاماً، حتى باتت عنواناً هاماً له مساحته الخاصة في المشهد التشكيلي السوري والعربي على حدّ سواء. ويواصل الناقد علي الكردي قراءته حول الفنان يوسف عبد لكي قائلاً: أعتقد أن الهاجس الإبداعي لعبدلكي، منذ بدايات تجاربه الأولى كان ينحو باتجاه خلخلة القواعد والمعايير المتعارف عليها، وإعادة صياغتها وفق منظوره الخاص، دون أن يعني ذلك إخلاله بالنسب الهندسية، أو القواعد الجمالية التي يستمد المنتوج الفني مشروعيته من خلالها، وللدلالة على ذلك نعيد للذاكرة أعماله عن دمشق القديمة التي عرضها في المركز الثقافي الروسي في مطلع سبعينيات القرن المنصرم.
يقول الناقد علي الكردي إن أعمال يوسف عبدلكي الغرافيكية تستعصي على القراءة، وعلى الرغم من ذلك فهي أعمال تستفز المشاهد، وتحرضه على مغامرة الخوض في غمار سياقاتها، وتركيباتها، وعناصرها المكوّنة التي تنهض على لغة بصرية، تعلن منذ البداية تفرّد صاحبها، وتميّز تجربته الإبداعية التي حفرت مسارها على مدار أكثر من ثلاثين عاماً، حتى باتت عنواناً هاماً له مساحته الخاصة في المشهد التشكيلي السوري والعربي على حدّ سواء. ويواصل الناقد علي الكردي قراءته حول الفنان يوسف عبد لكي قائلاً: أعتقد أن الهاجس الإبداعي لعبدلكي، منذ بدايات تجاربه الأولى كان ينحو باتجاه خلخلة القواعد والمعايير المتعارف عليها، وإعادة صياغتها وفق منظوره الخاص، دون أن يعني ذلك إخلاله بالنسب الهندسية، أو القواعد الجمالية التي يستمد المنتوج الفني مشروعيته من خلالها، وللدلالة على ذلك نعيد للذاكرة أعماله عن دمشق القديمة التي عرضها في المركز الثقافي الروسي في مطلع سبعينيات القرن المنصرم.
انه الفنان الجامع .. والعارف بالفن .. والذي يعرف ماذا يريد من الفن ..وكيف يستخدم الفن لمواطن هذه الاوطان وينافح عنهم ....
انه أيضا الفنان الساخر الذي يستخدم الكاريكاتير .. أداة تعبيرية يتحدث من خلالها عن الهموم اليومية للمواطن العربي .. وينقلك للهم الجمعي العام .. للوطن العربي

أيقونة العدد

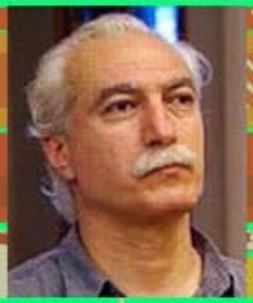

عبد الحي